

DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190482

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

ع- ۱ / ۸۹۲۵۷۴

Accession No.

۱۷۹۲۲

Author

الحلواني

Title

نادره لبنان

This book should be returned on or before the date last marked below.

غادة لبنان

تأليف

أمير العاصي

١٩٢٦

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة جريدة الصباح بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« كتبت الرواية في لبنان ، واستعملت روحها من روح
لبنان ، وحدثت وقائعها في مصر ولبنان ، فأنا أقدمها الى
وداعة آل مصر والى طيبة آل لبنان »

أحمد العاصي

جلس كمال في غرفة استذكاره مكبا على كتاب من كتبه
ويداه الي رأسه . وهو ساهم لا يقرأ ولا يفكر ولا يتحرك كأنه
نمّال قد صنع على هذا الوضع ، فمر بنافذته والده وقد مر
الهزيع الأول من الليل فرآه علي حالته تلك فلم ترقه فانتظار
قليل فلم يأت الانتظار بجديد فدخل الى كمال فلم ينتبه اليه ولما
قارب نهض اليه بعينيه ثم قام محييا . فاستفسره والده عن
شأنه هذا فلم يبد شيئا غير أنه . ثقل الرأس وفي حاجة الي
راحة فتركه والده على أن ينتهي الي فراشه

فنهض كمال وارغمي به فعاودته أفكاره السواء فامتنع عليه
نومه ، لأن النوم والهمل لا يجتزمان فهو مبهوم مبهوم مبهوم
وهو مضطرب مافي ذلك ريب ولسكن فيم هو مبهوم ومهم هو
مضطرب ، لا يدري أحد حتى هو نفسه ، فلما أتى النوم أن
يزوره أعاد عليه طلبه فامتنع عليه فأسلم فكره للتفكير العميق

أجل أسلم فكره الى هذا التفكير الذى لم يوصل احداً فى الحياة الى شيء وان اوصله فألى الحيرة والأسى حتى اقمده عدوه داء يجب الاسراع بمقاومته وتخفيض المرء من ورطته

أخذ كمال يفكر حتى انتهى الى قوله « أجل اننى حاول النوم والنوم يعاندنى وبعد قليل يتقاد، ثم أنهض فى الصباح انى عملى ثم أعود الى استذكارى ثم أمل فأنام، وهذه هي حياتى، فهي خدعة، وهي مهزلة ! » وهنا يشور رأس كمال فيضطرب ثم لا يلبث أن يتذكر أنها حياة تافهة لا تستحق عناء ولا تفكير فيبدأ ناثره ويترك كل شيء، يسير كما يهوى

وإذا تخور قواه يغمض النوم جفنيه ويضم الفراش جنبه ويمحو الرقاد همه ويسلمه الى عالم آخر، عالم مجهول لا يدرك أحد عنه شيئاً، ولكنه عالم راحة وكفى

نهض كمال وقد محا النوم من ذاكرته كل شيء، فكان نشيطاً مستعداً لأداء عمله أداء حسناً، فارتدى ثيابه مادناً وقصده مدرسته ساكناً،

فمر في طريقه برجل مرتحم علي طوار يخيل اليك أنه
 اقترشه الليل كله ، فألمه كمال فأذا هو محتجب في أطمار باليه
 ولا يكاد يبين منه الا يدمت للوال - فثار راس كمال وعادته
 للحظانه أفكاره السوداء فسار في طريقه يصيح في اعماق نفسه :
 « لا - لا أعطي هذا الرجل شيئاً ، فماذاؤه في هذه الحياة . ما باقؤه
 فيها وسجنها . ففتح الابواب . أجل ونحن على ما نحن فيه . من
 بسطة قد ضقتنا بها وضائق بنا . فما بقاء هذا وأى خدمة يؤدها
 للجمع . وأى فكرة أوجدته في العالم ؟ ! » ثم شرده فكره
 شرودا قاسيا فما يكاد يتنبه حتي يجد نفسه قد وصل الي المدرسة
 فيدخل في سكون لا يحبي أحداً ولا يحدث سواه . حتي يرتمي
 في مقعده في غرفة التدريس . فتمني يقدم مدرسه يستمع لما يقول
 ويحتمد في جمع قوى عقله جهدا كبيرا فيجتمع منها . ما يجمع
 ويشردها يشرده حتي ينتهي الدرس وينقضي ما يليه وهو تارة في
 انتباه وأخرى في انشغال حتي ينتهي بدروس يومه فيعود الي
 منزله غير مصطحب أحد في طريقه بل لتقديم به يومه دون أن
 يحدث احداً من ساعة قدومه الي مدرسته الي ساعته . فادركته اياها

غادر كمال مدرسته فساورة الافكار ونشطت برأسه فأخذ يناجي نفسه في نفسه ويقول : « فيم يضحك هؤلاء الطلبة الاغرار وفيهم يهزلون . وفيهم هذه الضجة التي يحدون بها من أجل علواته في علم . من العلوم وفيهم يطير أحدهم بكلمة إطرأ . من مدرس وفيهم هذا ، وفيهم ذاك . . . »

ثم ينحني سرب افكاره ووصوله الي . نزله فيجد اباه واخاه لدى المائدة في انتفاره ، فيجتهد ألا يظهر امام والده بشيء . من الاكتئاب لانه يحس أن التفكير قد كسا وجهه ثوب هم لا يسر ناظره . واكمه يعجز عن محو هذا فيتيئنه والده ويتبين لديه ان ابنه مهموم . فيألم لأنه لا يدري سرهم ، فيسأله عن شؤونه فعلمه يستدرجه الي شيء من ذلك فيكون عبثا ما فعل ثم يلف بهم الحديث الى موضوع يجادل الاخ فيه أخاه والوالد لاه عنهما بالتفكير في هذا الشأن الجديد من شؤون ابنه

واذ ذاك تنتهي بهم المائدة فينهض كمال الي غرفته . ويكون الحديث قد الهاه قبللا عن تفكيره . فلا يخام ثيابه ويرتعي على

فراشه حتى يلحق به النوم فينقذه من معاودة افكازه السوداء

استيقظ كمال من نومه . مطربالان احلما مزعجة قد
اقضت نومه فهب منه نائم الرأس متعبه فاصطحب كتابا من
كتبه وهبط الي حديقة منزله لعل في مناظرها ما رفع من هممه
واقباضه . وكانت الحديقة مذقة اجمل تنسيق . اخذة أجمل
زيبتها وكان من عادة البستاني اذا رآه أذنيهض فيجمع باقة من
الزهور ويقدمها اليه . فلما كان هذا اليوم ونزل الي الحديقة
مهموما لما ألم به من حال لا عهد له بها جلس على متكأ هناك
فأتاه البستاني بالباقة فأخذها ساكنا فلحظ البستاني ان كمالا
مهموم لأنه لم يسأله عن انواع الزهور الجديدة التي لديه ولم
يهتم بحديثه بشأن ما فتركه وانصرف لعل له شأن قد أهمه
أما كمال فقد تناول باقة الزهور ثم أخذ يحدث نفسه هذا الحديث
«البستاني رجل له من الحواس ما لنا فلماذا لا اجده يوما
ما وفي يده زهرة يتأملها او يستنشق عبيرها . اذهب الفرق
بين الناس الي هذا الحد حتي أهملت الحواس أو قدمت عن عملها

ولم أراه يقدم لي هذه الزهور وما في ذلك من لذة له . وفيه
هذا المالح كله . ولم لا يكون ارفع من ذلك ، ادام ، وديا واجبه .
اليس هو خادما من خدام العالم الذي سأكون له خادما يوما .
فهو اذا قد سبقني الي خدمته . ثم ما السرفى ان بعضنا يتعاق
بعضا ويتمسح به وكلنا خدما في هذا العالم . ولم لا تكون جميع المهن
في المنزلة سواء . وكل يؤدي الدور الذي انتدب اليه لتمثيله في
هذه الحياة دون أن يعد نفسه رفيعا أو وضيعا مقارنا بهذا أو
بذاك . وهل من عيب ان يأخذ ممثل علي مسرحه دورا غمينا
أو مهينة متأخرة . ألا ان هذه اعتبارات منكورة ونحن الذين
اختلفناها فأفسدنا وجه الحياة بهذه الاختلافات والتباينات
وبينما هو مستطرد في أفكاره اذ ينتبه علي صوت الخادم يناديه
لأن اثنين من رفائله قد قدما لزيارته . فينهض اليهما متثاقلا

كان كمال جالسا الي رفيقيه وكان والده جالسا الي اخيه
يستنبئه أمر كمال ليدرك منه ان كان قد وقع منه السكمل ما يؤله
أو زنجبه فيجيب الأخ انه لا يعلم له سرا وان له لحظ مابه منذ

يومين وأدرك أن كمالاً ضيق الصدر سريع الافعال وأنه ما حادثه
 عن أمر أو أدلي إليه بخبر الاستتفه هذا وذاك وعمل على تنفيذه
 قال الوالد : وما شأنه بالمدرسة فهل سمعت عنه من جديد
 قال لقد قابلات الآن رقيقين من رفاقه قد قدما إليه لزيارته
 لانهما أدركا انقباضه في المدرسة وذهاب فكره فأهمهما الأمر
 وانهما لديه الآن فأذا خرجا استفسرناهما . قال الوالد « اما
 علمت له من علاقة بأحد آخر » قال لقد مضى به يومان
 لم يفادر المنزل للرياضة ولا أعلم عنه دون ذلك » فعجب الوالد
 من شأن كمال وزارت رأسه فكرة أراد أن تثبتها ثم يدفع الايام
 ببعثه لأن تفاهرها اليه . ثم نهض الاخ لا انتظار الرقيقين
 ومكث الأب يناجي نفسه ويقول : « لقد استفسرت بالأوس
 أحد أصدقائي عن انقباض هذا الابن وانكماش حياته في مثل
 هذه السن من شبابه فأفضي الي بأنه يملأها باللائق النسائية .
 والعلائق الذمائية تلف رأس الشباب واضطرابها يدفع الى
 اضطرابه . واني لا أجد في ميلا للأخذ بهذا الحديث . لأن
 كمالا الآن في العشرين من عمره وهي سن القلق والاضطراب

ولكنى أُلِمَ عنه استقامة الرأس واستقامة النفس. ولكن...
 وبينما هو فى مناجاته اذ عاد أخ كمال بعد أن استفسر صديقه
 الامر . فقال الوالد ماعساها قد حدثاك به قال لقد أخبرا أنه
 يقرب فى أفكاره وبخه وأنه يشار كهما فى المواضيع الدقيقة
 ويترك المواضيع التافهة بل يحقرها ولم يشأ أن يصداجهما للرياضة
 وترويح النفس ويخيل اليهما أن لديه هما يشغله لأنه لم يشار كهما
 فى ضحكة أو ابتسامة «فقاض عجب الوالد وأبرم أن يقع على سر
 كمال ما من ذلك بد

لما نهض كمال الى صديقه نهض منثاقلا متألما لانهما
 قطعا استعراض جيش افكاره مع جمال هذا الاستعراض ومع
 تلذذه به . فلما لاقاهما حياهما بفتور وجلسوا قليلا صامتين ثم
 كسر أحدهما الصمت فقال : أين كنت يا كمال . قال كنت
 بالحديقة وهاكما بعض زهور جمعها الى البستانى فهل لكما فى
 نوع خاص منها أم جميع الزهور لديكما سواء . قالا دعنا من
 شعر الشعراء فكلها زهور متماثلة وما معنى غرام أحد بزهرة

خاصة . ان هو الاتمق تافه . قصمت قليلا ثم قال : ان الله لم يخلق هذه الزهور الا لينعم بها الانسان ويعجب فأذا كان الانسان سيستفهمها ولا يعني بها ولا يجد في كل منها زينة ففني ذلك أنه لم يقدر ما أعطاه الله . ولم يقوم هدية منحة الطبيعة اياها . على أني أظن ان في تقدير بعض الناس لزهرة خاصة رجوعا إلى حادثة خاصة كان لهذه الزهرة بهاشان ، أو أنه قد ركز كل اعجابه بالزهور في هذه الزهرة فأصبح يجد أنسا . واعتباطا بوجودها بين أسبابه والانسان كلما ركز فكره في شأن عظمت قيمة هذا الشأن لديه وإن تكن من قبل تافهة ، فقاطعه صديقا . معا وقالوا . ما عهدناك فيلسوفا يا كمال فانهض بنا لنرى المباراة في اللعب هذا اليوم فاعلمها تاهيك عن هذا قال وما مني أن يخذل فريق فريقي ثم يخذله هذا في غده وما قيمة جهد كبير لا طائل تحته ينفق في تضارب كرة بين عدة أرجل ألا ما اتته كل ذلك ، ألا إن الحياة فوق ذلك ، وسرها أرقني من ذلك ولا بد أننا قد خلقنا لغير هذا . فذهل الصديقان ثم تمضوا وقالوا : لتتركك الان يا كمال فييدو لنا أن أحد كتب

الفلسفة قد أفقد عليك رأسك ، تم ضحكك وكمال سامم تم
استأذنا وكان لم ينهض وإياهما إلى الباب كعادته . بل ظل ثابتا
جامدا حيث هو

كان كمال طالبا من طلبة الطب وكان ذكي الفؤاد رقيق
النفس كبير العزم وكان دقيقا في أفكاره وبحته . ولما بالبحث
عن أسرار الأمور منذ نشأته فلما شب شبت معه هذه الأفكار
وكبر معه هذا التدقيق واتسع أمام عقله الحاد مجال العمل .
فوقف أمام معضلة الشباب . وقف ذى عزم تارة وموقف
اضطراب تارة أخرى ولكنه لم يرفها رأى سواه من الشباب .
فهؤلاء يرون لهم الصبا لثة كبرى أما كمال فيحتقر هذا اللهو
ويصغره لأنه أقيم على غير قاعدة ولأنه تافه في كونه ولأنه
لا يضم جانبيه على سعادة حقة والامر كله خيال وهزل
لا يستخدم فيه عقل . فلما لم يرق لديه لهو الشباب بمدء أقدم
ألم به فاستغف لم يرق إليه إلا التفكير العميق . والتفكير لثة
وإن حبه الكثيرون تعبوا ونصبا . والنشاط الإدراكي سعادة

وإن حسبته البعض هما . إلا أنها سمادة كثيرة التقلب حتى
 يرى فيها الكثيرون أوانا من الاسي . وما كانت السمادة
 لتنتج الاسي — وبعد هذا التفكير قد أخذ هذا الشاب المسكين
 وأوقفه أمام عقدة الحياة . عقدة البحث عن قيمة الحياة . عقدة
 البحث عن معنى كل شيء فيها . وتلك عقدة عنيدة لا تكاد تمحل
 وما حلها إلا البعد عن حلها . والتفكير في سواها وتحويل النظر
 عنها . فلما وقف كمال أمام هذه العقدة وقف مرقفا محرجا .
 وقف مبهوما لا يهتدى إلى غاية فكل شيء أمامه تائه وكل
 حقيقة خيال وكل كبيرة صغيرة وكل اهتمام لم يصب موضعه .
 جميل هذا ولكن عدم المبالاة لا يوصل إلى شيء وإن أوصل
 فإلى نتيجة أتفه من الأولى وإني عقدة أعند منها لأنه لا قيمة
 لحياة غاية المرء فيها عدم مبالاته إذا فكل عقدة توصل هذا
 الشاب إلى أخرى . وكل فكرة تمذفه إلى سواها . فهو مبهوم
 و مضطرب وكفي !

خرج الصديقان من لدى كمال وتركا وحده والتفكير

يتاف عليه رأسه فأخذ يسأل نفسه . ما غرام هذين الشابين بالحديت التافه وما غرام سواهما به وما معنى هذه الثثرة التي يجتمع عليها الناس كل آن ويسمونها اجتماعا يانسون به . وما معنى هذا الانس وهاهماذان صديقاى قد اجتماعا لدى وانفضا وما شعرت بأنس أو سواه . ألا أنه يجب أن ينتج كل اجتماع نفعا وإلا فلا داعية له . ولكن ماذا يستفيد الناس بعضهم من بعض . إن كل . لديهم تافه وكل بضاعتهم . زجاة . فما ألد العزلة حيث يجتمع الانسان بنفسه وآرائه ويتخذ منها أصدقاء لعزاء لا يفاق أحد منهم عليه . مقامه . ولا يجادله مجادلة عقيمة ولا يدلي بمالا يطعن اليه . والانسان إذا ركن إلى نفسه أهكنه أن يصل إلى لب الامور ...

نم يسترسل كمال فيقول في نفسه : ولكن . أهو لب الأمور هذا . وكيف نريد البحث عنه والامور جميعها واضحة لا تستحق غناء وماترك الناس البحث فيها إلا للوضوحها .

نم يعود فيقول لنفسه : ألا يمكن أن يكونوا قد تركوا البحث فيها فتموضها أو ليربحوا أنفسهم من غناء بحثها . إذا

فلكل أمر سر غامض ويجب ان يكون الناس قد فهموه فهما
خاطئا . ولهذا اكثر من يأمنون بحياتهم ورجح عدد الناقين
عدد المتبطين الراضين . واكن الا اكون وانما نجا ذهبت
اليه فان الناس جميعا متشبثون بديشهم حتى ان احدهم وهو
على فراش موته والآن تساوره وتلدغه في كل مكان . يرجو
الحياة ويتمناها ولا يعني سواها . بل يتمناها على اى وجه من
وجوهها . فلكل اذا متبط وانا وحدي نائم فهل يعلمون
سرا لاله . كلا فاني قد عاشرتهم طويلا فلم نجد لديهم سرا
فلا بد انهم مخدوعون في حياتهم . واكن هل خلقنا لنخدع .
هذا محال ومخالف لكل رأى قويم وذوق سليم . اذا فهناك
سر لهذا العالم قد اخطأناه وكفى

ثم تبلغ بكمال هذه الافكار السوداء فيرتقي على مقعد في
الفرقة ويظل ساهما عابقا بنظاره الي نقطة واحدة لا يبدلها حتى
يستيقظ بنداء الخادم اليه اينهض لتناول العشاء فيهب . نزجا
ثم يسعي . متاثلا بعد ان اقلق رأسه شر اقلق

لك الله يا كمال . ات طيب القلب حاد الذهن عالي الفكرة
 دقيق النظر . ولكن الحياة تحتاج منك ان تهون امرها اكثر
 من ذلك . ان دائرة عقولنا لا ضيق من ان تتسع لاسرار هذا
 العالم وحكمة هذه الحياة . أجل ان لكل شيء سرّاً غامضاً
 ولكن الناس لو عرفوه لما اقتنعوا به وضاقت عة . ولهم عن
 فهمه . وان الحكماء والنملاسنة ليظهرون للناس ما يصلون اليه
 من سر هذا العالم فلا يزيد ذلك عميدة الاسبابنا ولا يقوى
 ما ضعف منها . وانما يقويها ويقومها ان يتركها الناس وحدها
 تثبت نفسها بنفسها وان يعجبوا بكل شيء في الوجود ويحبوا
 كل شيء في الحياة فهذا الحب وهذا الاعجاب هما اللذان
 يبعثان في قلوبهم احترام هذا العالم وهما اللذان يقويان من
 عقائدهم وكني . ام اذا تريدان تستكشف من كنه هذا العالم
 ولقد ضقت بالامس بسر سائل يسألك عطاء وحسبته لا موضع
 له في هذه الحياة ولا شأن . مع ان في منظره عظمة للناظرين
 ودفعاً لليأس عن يائس ودفعاً بالرضى الي قلب مبتئس وكان

واجبك حين رأيت هذا السائل 'ن تطامن الي ما انت فيه
وترى ان اولي بالنعمة سواك ممن يعاندهم الدهر
ولكنني اعلم ان حديثي هذا لا يبلغ من نفسك يا كمال
ولا يقنعك لانك اوقفت نفسك على رأس طريق لا بد من
قطعه ولان نفسك تريد أن تشتفي وهي لا تشفي . وما يلذك
الآن الا ان تبحث في سر عيشك وسر وجودك وفيما ستقدمه
للناس وفي كل شأن من شؤون الناس . ولكنك ستري ان
جميعها معوج وأن السنين وكرها لم تهذب منها شيئا . وسترى
أن الناس يهتمون بمخبر الامور ويعظمون توافها وسيصغر
لديك شأن الحياة . فانا ارجو الله لك يا كمال وكفي

نهض كمال الي المائدة في سكون وكانت الآلام قد ودعته
فسر والده بذلك سرورا كبيرا . وكان لدى المائدة هو ووالده
واخوه وفتاة متعلمة من اقربائهم فجلس الجميع يتحدثون
ويتباحثون في التعليم وسواه ، ولقد اطالوا البحث في تعليم
الفتاة واسهب كمال في هذا وجادلته الفتاة طويلا . وكان رأى

كمال قويا وحجة ناهضة فاعجبت به الفتاة بينها وبين نفسها وشعر والده بشيء من الاغتياب إذ رأى آراء كمال معتدلة واذ رأى الهم قد انزاح عنه، أجل لقد رأى كمالا يعصدها ليم الفتاة تهابها قويا تستطيع به ان تشارك زوجها في تفكيره وتبادل آراءه فلا يجد الزوج بينه وبينها هوة سحيقة فيضطر لان يتركها الى الجلوس مع بضعة من اصحابه يتررون ويهرفون في مجتمعات لا انس فيها ولا تقع لها ولكنها اشفق به من ركونه الى زوجته تلك ولحظ الوالد ان كمالا يقدر الزوجة، ويقدر سماتها والانس بها. وادرك بعد هذا او خيل اليه ان كمالا قد انس الى الفتاة واسترسل في الحديث من اجلها او بعد فقد انتهى الجميع من حديث المائدة وما بعد المائدة ثم انفضوا ونهض كمال الى حجرة استذكاره. وقد اعتقد والده ان جرحه قد التأم وانها عارضة قد احدثت والحقيقة ان هذا الانس الذي اليه كمال كان عارضا وان هذه الخلال التي اليها كانت نسبا ارسله الزمن علي قلبه ثم لا تلبث ان تلبث ان تلبث من بعده العواصف والزلازل. فوارحة لك يا كمال

نعم يا كمال ان مشاركة النساء الرجال في مجالسهم ومجتمعاتهم مشاركة شارحة مدعاة لا غتباط النفوس مخففة لكل ملل باعثة علي الرقة في الرجال والتجمل في انشاء علي انه لا يوجد حد فاصل بين الرجال والنساء يضطر هؤلاء للاجتماع وخدمهم وهؤلاء للاجتماع وخدمهم ولكن الله قد خلق النساء متممة للرجال في كل شيء وفي للرجال شأن من شؤون الحياة ولا يتم نظام الحياة الا بذلك فان كان كل جال ان يديروا الشؤون الخارجية للمجتمع فللنساء ان يدرن الشؤون الداخلية وان كان لهؤلاء آراء فلهؤلاء آراء متممة لها. فاذا اجتمع الفريقان امكنهما ان يتفاهما تفاهما معقولا. وامكن الرجل ان يفهم المرأة وامكن المرأة ان تفهم الرجل وحق لهذه الفرقة التي تنشأ بينهما ان تزول. واول شيء ان يفهم الحزبان اللذان يكونان العالم كل منهما الآخر ويسعد كل منهما بالآخر ويتعاون على النهوض بالحياة. وكما ازادت الفرقة بينهما ازادت الحياة شقاء. وكلما زاحم احدهما الآخر امتلأت الحياة اضطرابا. فلا بد ان يعملوا جميعها وان يقسموا العمل بينهما. للرجال شأن وللنساء شأن ثم يجتمعان

فى مركز واحد مركز خدمة العالم ومحاربة الامه واسقامه
بالاجتماع والائتمان والمشاورة والنهوض باسباب الراحة فى
الحياة وقتل كل ما يمارضها . بهذا تصبح الحياة هينة وبهذا تنجل
عقدتها . اما ان تصير المرأة والرجل كل واحد فهاهى مؤتنة
بعيشها ولا هو . مؤتنة بحياته ولا كل منهما . مؤتنة بالآخر
ولعل هذا كان رأى كمال فهو شاب مستيقظ الفكر :
ورجل أنضج الزمان قبل أوانه . فلما رأى هذه الفتاة جالسة
اليهم فى مباحثة وتبادل رأى اغتبط . ولله نسي آلامه إلى
وقت وأخذ يسهب فى بحث الـ . و عرض وجوهه لانه مما يذه
ولا نستطيع ان نجد السكال فى هذه الجلسة سر سوى ذلك .
ولا ان نجد لائتمانه داعية أخرى . فلهذا موضوع جمال وللاجتماع
جمال والسكال لم يشق للجمال ونفس كمال تريد أن ترى كل
شيء جميلا . ولا يؤلمها الا أن الناس تسيء تدبير هذا العالم
فيسوء منظره وتطمس آيات جماله من حيث هي تريده جميلا
سائما لا تنال لم نخلق لتعذب ونشقي وانما خلقنا لنسعد ونأنس
بالحياة . تلك التى نرى غريزة فى قوسنا ان تثبت بها ونحن

لم تتشبت بها عبثا وانما السر يدفعنا الى أن نجمع انفسنا ونركض
خاف سعادتها طول حياتنا. هذا هو سر كمال في هذه الليلة
وهذه هي آراؤه فيما نرى . فلننظر . اذا ظن الآخرون به

ما أطيب قلبك أيها الوالد وما اعطاك على بنيك :
والد كمال تاجر متقدم في تجارته . لم يمتعه ولذا قد
هيأت له الاقدار ثروة كبيرة وانه لم يدبر بها لانه . بهر في
مهنة واحب الامانة ولا شيء اعلم على تقدم التاجر من هذين
واقدر كان من سكان القرى تتركها الى العاصمة ليحيى حياة
ارفي ولا يكون بجانب ابنه كمال وايرييه تربية راقية لانه يجب
ان يكون له ابن . لم يستطيع ان يقوم للعالم بخدمة جليلة
لانه يعتقد ان عمل الانسان محدود . لم يتعلم . وانه يستشير
في كمال النظافة وحدة الذهن ولا أحسن من تعاليمه ولا سيما
ان اخاه الاكبر قد حرم ذلك لالحاته بتجارة ابيه
وسارت الحياة بهم جميلة راقية . وكان كمال متقدما في
دراسته . وكان والده مطمئنا الى ذلك ومقتبضا به ومقدرا له

مستقبلا جميلا ولا سيما بعد ان تقدم كمال لدراسة الطب .
فقما يرى والده انها أكبر خدمة يقدمها الإنسانية وسيدشأ
رجلأ . انه ومهارة وهما الأتقن . ان اللذان لابد منهما لكل طبيب

ساد الامر كذلك بهذه الأسرة الكريمة وكان كمال محط
أنظارها وكان الجميع يجلسون اليه في مجتمع أحياء كثيرة وكان
كمال يحدتهم بما يحضره مما بلذم ويتفق مع آرائهم من الأفكار
والآراء وانه اذني ذكي يستطيع ادراك ذلك ويستطيع اجراء
الحديث كما يشاء . بل إنه يرى من ضعف بعض المتعلمين ألا
يستطيعوا تبادل الحديث والآراء مع سواهم من غير المتعلمين
مع أن أكبر ما يجدي المتعلمون على الناس أن ينهضوا بغير المتعلمين
وبآرائهم ويدلوا اليهم بخير الطرق لتقدمهم ويأتوهم بما يطرب
حياتهم ويجعلها لأنهم قد نهزوا من العلم والتعلم واسع المجال
ذاهب في كل النواحي والمتعلم يستطيع البحث في كل شيء
واتقان كل شيء والنهوض بكل شيء ومن الحق الا ينجح المتعلم
إلا في علمه وألا يتقن إلا مرافقة مكتبه

نهض كمال إلى حجرة استدكاره وأخذ يستمرض ما حدث له في يومه . وتجب ما حدث له .

فوقف أمام مسألة السائل قرأني نفسه محمداً في آرائه عنهم — اثم وقف أمام خاطرة البدائي قرأني نفسه مصيباً فيها ثم وقف أمام موقفه مع صديقه وتبين له ماضيه مع اصدقائه فاستمرضه عاماً عاماً وصديقاً صديقاً فلم يجد شيئاً مضرباً ولم يجد إلا حديثاً تافها أولهوا تافها فهو لم يخطيء بأن لم يكن أنيساً لذي صديقه هذا اليوم . ثم اضمر في نفسه أن يتجنب الأصدقاء ويجلس إلى نفسه ويتخذ من فكره صديقاً ومن رأيه مؤنساً حتى ينقاد له ما يريد من هذه الحياة . ثم فكر بمد هذا في حديث المائدة قرأني صواباً أن قد أسهب فيه وفي بحثه ورأى أنه أبلى إبلاء محسناً في ذلك فاطمأن ولا نكسر إذا قلنا وأعجبه قدرته لأن أمثال نفس كمال من النفوس التي تميل إلى المثل الأعلى والتي يحبها قبل كل شيء أن تعمل عملاً رائقاً وتحدث حديثاً نافعاً ولا تأتي ما استطاعت إلا بمجديد . فهو حقاً

قد اطمان

الى هنا كانت اذكار كمال. متدلة فابتداً استذكاره وافتتح كتاباً من كتب الامراض واخذ يقرأ فقرأ قليلاً حتي شعر بالملل فأسلم يديه الى رأسه وامتنع عن قراءته فهبت علي رأسه عاصفة من الافكار أنارتها قراءته عن الامراض وبجته لشأنها وأدوارها واضطراب أصحابها وآلامهم. ومن كان في حالة كمال هذه لم يكن لثالثه ان يقرأ مثل ذلك لانه يذكّر بالاسقام والجن. ولكن هكذا شاء القدر أن يتعذب هذا الشاب المسكين فأسلم رأسه للافكار وأخذ يحادث نفسه هذا الحديث. هذه امراض كثيرة تناب بنى آدم فريفا دون فريق ولعل من نجا أحق بها ممن أصيب فما السر لاختيار القضاء لهؤلاء دون هؤلاء لا بد أن هناك من سر. على الله ان يرى الشاب في طراوة حياته ومستقبل اياه ونرى مرضاً اليماً قد اتورده فأص حيايته ونرى الفتاة طيبة القلب. حسناء الوجه والانس ثم نرى المراض قد الم بها فقلب حسنهما قبحاً وطيبتهما نقمة. فهل يكفي ان نعتقد أن الامراض اختبار للناس. وما الاختبار في ذلك وما عسى.

تكون تديجته كل . في الامر أزيتم انسان وأن يصبر انسان
ياثسا او متعملا والمتحمل . منتفرا اثناء في حياته وفي عالم آخر
إذا فالامراض لا تنتاب الناس لاختبارهم فحسب فهل تكون
لتقوية عزائمهم كما ترى أن ويلات الحياة تشد العزائم . ولكن
الامراض قوة فوق ذلك وما لانسان قبل بمقاومتها بل ان
الانسان ليعجز امامها ويستكين فهي اذا لم تستسلم
والاستخذاء . ثم ما قيمة اشتداد العزائم في امراض تقصم العمر
وتقود الى الفناء . اذا فهناك داعية أخرى للأمراض . فهل هي
جائحة نصاب بها النقاومها فحسب فان كنا خاليقين بمعنى الانسانية
وبقية العقلية . أمكننا ان نقاومها أو أن نضرب في ذلك كفايتنا
ربما كان ذلك وليكننا ناري الامراض ممتدة الى غير النوع البشري .
أخذة من جسمه اذا فهي شيء شاذ لا نعرف داعيته ويجب
التخاص منه ولا تخاص منه إلا أن تترك من يصاب بمرض يقصمه
موته فخلو صنحة الارض من هذه الامراض لا نتأجد الامراض
متقدمة بتقدم الطب وكلما زدنا مقاومته زادت انتشارا . ذلك
لانا بالابقاء على المرضى والضعفاء نكثر وسائل انتشار الامراض

وعدد المصايين وهو لا يتناسلون تناسلا ضعيفا ولو اننا تركناهم
للقضاء كما كان يفعل اسلافنا لملت نسبة المرضي كما كانت قليلة لديهم
والكانت صحتنا ارقى من ذلك كما كانت صحتهم وكما كانوا
أرقى منا بمرحلة بعيدة في قوة أجسامهم وصلابتها
وكأنما هذه الفكرة الشاذة قد انثارت رأس كمال لأنه
رقيق النفس رقيق العاطفة وهذه فكرة قاسية ، لا تتفق مع
الكرامة ولا الانسانية فاضطرب كمال وأزعج وحق له ذلك .
ثم رمى بكتابه وارتمى على فراشه

كان ما ألم بكمال في هذه الليلة قاسيا كل القسوة إذ أنه قد
أجهد نفسه ورأسه لإجهادا كبيرا حيث كان واجبه أن يريحهما
فلما أصبح كان تفكيره مضطربا - فل هذا العمل الذي انتدبت به
الحياة له وقصد المدرسة أثرا نائما ملولا فحضر الدرس الاول
فلم يجتمع فكره ولم ينهض الى فهم فلم يرق كمالا ذلك وآله جدد
الألم فارتجى على مقعد في ردهة هناك خائرا متضمضما ومر به
اليوم الدراسي وهو جامد هكذا في مكانه

جالس على هذا المقعد هذه الجلسة التي أتوودها من قبل .
 لأنه رجل نشا طو عمل . رجل يلم الواجب كما يجب أن يعلم .
 ولكن الضربة قاسية فأثقلت عليه تفكيره فلم يجد معنى لأن
 يقوم للعالم بهذه الخدمة التافهة ! ولم يمد يدها خليقة بأن ينفق
 حياته من أجلها . بل لم يمد يدها دافعا من نفسه لدراستها غير
 مطمئن إليها غير عالم سرها وباءتها وما يجب علينا تلقاؤها . ورأى
 أن المجهود يجب أن يتجه لما هو أجدى من ذلك . أجل لما هو
 أجدى من التزيم التافه للأجسام ! كما أصبح يراه كمال . وسوى
 هذا المجهود لاصلاح العالم حيث يجب تركه يسير كما يهوي !
 إذاً تفكير كمال أصبح عجيبا . مضطربا . فاستمر به ذلك
 حتى رأى الطلبة عائدين إلى منازلهم فامتطي رجليه وسار
 متثاقلا إلى منزله ورأسه ناثر يكاد ينفجر

قصد المنزل ودخل غرفته واستلقي على فراشه ومنع
 بقوة عزيمته كل فكرة أن تتصل برأسه . فأطاعته الأفكار وانتحت
 عنه . ثم طلب النوم لينقذه فلم يشأ معارضته . فنام هذا

المسكين نوماً عميقاً كأن شيئاً لم يحصل . ولو أن فكرة قاسية
اتصلت برأسه قبل نومه لالهفته لها بالولساعات عقباها
لله ما أعجب أطواره وما أقوى عزيمته !

وبعد قليل جاء الخادم يناديه لتناول غذائه فهب منزعجاً
صائحاً بالخادم « اذهب عني كفف جرؤت على إيقاظي » ثم
استعاد النوم فعاد اليه ولم يستطع احداً إيقاظه .

« ما أكثر ما عذبتك القضاء حيث تسحق منه كل عطف
ولكن لذلك سراً . ما من ذلك بد . فها من رواية الاولها مغزى »
هكذا كان كمال تاجيه نفسه بعد نهوضه من نومه في الاصيل
شعر ذووه بنهوضه فجاءوه بالطعام فأخذ يتناولوه ويقول
بين أكلة وأكلة لا فرق بيننا في هذا التناول وبين اى حيوان
آخر ثم يعود فيقول . بل ان اهتمام الانسان بطعامه قد فاق
اهتمام اى مخلوق آخر . وكم من شقاق ونزاع ينشئه الاهتمام
بالطعام بل ان نوح بنى آدم او عتداً كثيراً منهم ان أحسننا
القول - يمشون ليؤدوا هذه الوظيفة - أجل وظيفته تناول
الطعام - من حيث كان يجب ان يكون ذلك أمراً فى الدرجة

الآخرة من الاهتمام . لان في استطاعة كل انسان أن ينهض
به بأقل ثمن وبأتمه مجهود مادام لا يعتبر الفرقا تافها بين نوع
من الطعام وسواه ، وهل يحس الانسان بفرق بين الاطعمة إلا
لحظة مرورها من فمه وهل هذا يستحق كل هذا الاعتبار
الكبير من عقول بني آدم وجهودهم ، ولولا الاهتمام بالطعام
ما رأينا الشح ولا سمعنا عن الطعم ولا شاهدنا سائلين ولا بانسين
ولا عاجزين لا يجدون ما يتباعدون به ، أجل يجب أن ترفع بعقليةنا
عن أن يكون الطعام همنا ، وما ضر في لو لم آكل أكلا ثميناً وأكلت
أكلا سواه محسناً بفرق ما بين الاثنين الى سائل محتاج فأقتل
جوعاً قد قرح معدته ، لاني قداسة شعرت ألامعد نهوضي من
نومي لاني لم أناول غذائي ، إذا فالجوع أليم وقاس ، ولكن
في استطاعتنا أن نأكل من العالم ونهض بضحاياهم ونصيرهم قوى
عاملة في الوجود . أجل إن في استطاعة الناس أن يقاوموا كل
حائجة ومحنة لو تعاونوا وفي استطاعتهم أن يملئوا العالم سمادة
لو شاءوا ، ولكن لم لا يفعلون ، ولم لم يقبلوا من أجيال برخت ،
ولم يتدهورون في انسانياتهم جيلاً بعد جيل ، إذا لابد للأمر

من سر ، أفى كل أمر نرجع الى سر لانعرفه ، هذا مدهش :
هذا مدهش ..

وكأنا نأثر رأسه فأخذ يردد هذه الكلمة فاتفق ذلك
ودخول أبيه فاستفسره الأمر فلم يبد شيئا نازج الوالد ولم
أن الجرح لا يزال داميا ، ثم طلب إلى كمال أن ينهض فيروح
عن نفسه بالذهاب إلى دار تمثيل أوس واما فأنى أولا إلا أنه
رأى أن يذعن لارادة والده فارادى ثيابه لوقته وخرج

نحن نرى إذا أن المحنة قد اشتدت بكمال فاصبح لمولانا العمل
وقد كان مجدا ، وضيق الصدر وقد كان رجاء ، وهذا ان كافيا لتغيير
شخصيته لولا أنه كان قويا فاحتفظ بكثير منها وهو وإن كان
يشير دشرودا عجيبا في بعض مائه فلا زال تفكيره دقيقا وتحليله
في كثير من أحيائه سائما ، وهانحن أولاء زارة أخرى قد عاد
إلى فكرة السائين وعطف عليهم من حيث كان يريد من قبل أن
يخلى العالم منهم ، ثم زارة قد عاد فأغرب في بحثه في تناول الطعام
وهو وإن يكن محتاجا جيدا إلا أنه غير مستطاع أن يمر بأفكار

الناس جميعاً . فقبل لهم أن يمتقنوه أو يأخذوا به ، هدا محال : إذا
فكمال قد ذهب بعيداً ، فنتقنوه ، ماذا نرى في دار الخيال

اهتم والد كمال بأمره اهتماماً كبيراً ، وبدء مسمع بشورانه
أذ أتقظه الخادم وبدء مداخل عليه في غرفته فراه يردد جملة
واحدة في صوت مرتفع ، أجل لهذا زيج الوالد ووطن أن الأمر
سراً ، وأما كان بالأس قد استفسر صحابه من ذوى الحكمة
والتدريب ، فأخبروه أنهم يرجحون أن لكل علاقة نسائية
أثقلت عليه رأسه ، وأكد الأمر لدى الوالد ما رآه من غبطة
كمال وانبطاط صدره يوم أن تناولوا الطعام وكانت في رفقتهم
تلك الفتاة . من أقربائهم ، فهل يكون له علاقة بفتاة مثلاً ، ربما كان
بهذا بعيداً لأنه بعيد بنفسه عن مثل ذلك بل محقر ، فهل يكون
به . قيل إلى تلك الفتاة نفسها . ربما كان ذلك ، إذا فليبحث الوالد
خلف ذلك ، لأنه لا بد له من أن يحل معضلة ابنه قبل أن تتفاقم
وتتضبح محاولة حلها عبثاً ، وإنه ابنه النجيب الذي يدهه قسماً
أخري له ، فليأت له برأحه وإن تكن محتبثة خلف القمر ، أجل أن

والوالد عاطف والأبن بار والحالة عارضة والمقاومة واجبة ، فلا
مد أن يستل كمال من بين أصابعها ويحتفظ به دونها
هذا ما كان يتلجج في رأس الوالد في هذه الليلة التي
غادر فيها كمال . نزل إلى دار التمثيل ليروح عن نفسه
أجل أن كل والد يحب أن يبنى بشأن ابنه حتى ينشأ
ويقود حياته بنفسه وإن أولي زمن برعايته والعناية به هو
هذا الزمن الحرج من عمره . هو غامضة شبابه ، هو ذلك الزمن
الذي يظن فيه الأبناء أن لم يعد لهم حاجة برعاية آبائهم من
حيث هم أحوج ما يكونون إليها ، ذلك الزمن الذي يسميه
الأبناء زمن الاستقلال وتسميه الحقيقة زمن الرقابة ، إلا أن
كمالاً كان قد قضى أكثر هذا الزمن سالماً آمناً بقوة عزيمة وكبير
إرادته وعقليته السليمة ، فلما وصل إلى نهاية هذا الزمن الحرج
ووقف على باب الحياة الكبرى أو كاد كانت قد تجرأت لديه
جيوش من الأفكار فغزت رأسه واحتلت دونه أن يكون له
قبل يصدها فخار والده في الأمر إذ وقعت به هذه الواقعة
إلا أن الوالد قد ذهب مذهباً مغرباً في فهم الأمر وكان ذلك

لطيفة قلبه وسلامة طويته ولعدم ذهابه الى أن أحداً يفكر
هذا التفكير أو تفوده هذه الآراء، ومن هنا نشأت مشكلة
أخرى بين الوالد الذي يستغل عليه شأن ابنه وبين الابن
الذي تنقاد له الا ور

قصد كمال دار التمثيل وكان أثناء ذهابه ياتقط كل أمر
ويحمله الي عناصره ، وكثيراً ما كان يعجب لشؤون الناس كأنه
لم يكن بينهم من قبل : فرأى رجلاً أراد سلعة من بائع متجول
فلم يرقه الثمن فتركها فقال كمال في نفسه : وماذا علي الرجل وهو
يريد السلعة أن يرفع ثمنها بمحض الشيء وان شاء فليعتبر ذلك
صدقة للبائع المسكين ، ثم ركب الترام فرأى أنواعاً متباينة من
الناس في جانب ونوعاً محترماً هادئاً في جانب آخر فقال في نفسه
فيم هذا التفريق ثم نظر فوجد الأولين محدثين ضجة كبيرة
ومترزين في لاشيء بل رأى اثنين في مشادة كبيرة ليحوز كل
منهما شئخ دفع أجرة ركوبهما . فتألم كمال لذلك وحكم بأن
هذا التقسيم عدل ثم شرد فكره الى جمل الناس بعضهم فوق

بعض درجات فقال ولا بد أن هذا عدل أيضا لأن الناس متباينون في عقائهم وكفائتهم كما كانت هؤلاء الراكبون متباينين في أذوقهم ثم بعد تفكيره فقال ولم لم يكونوا متساوين في الكفاية مختلفين في مذهبهم ومناحي تفكيرهم ، وكأنما حاول التعمق في بحره فانقذه وصوله الى دار التمثيل

فنظر فوجد الناس مزدحمين حول نافذة التوزيع فلم يرقه هذا الازدحام وقال في نفسه . ان الموزع لا يشتغل الا بقوة واحدة تسكا كأ الناس أم لم يتسكا كثوا فلو أنهم تقدموا الى النافذة فردا فردا أو عشرة عشرة لكانت النتيجة ان سواء فاذا السكل مخطئون ، ثم عز عليه أن يخطيء السكل فقال لنفسه : لو كان لابد أنها الاترة هي التي فعلت ذلك لأن كلا يريد ان يقدم نفسه ، وان كان هل كل من يشاء التقدم ضعيف النظر والسمع فلا يرى ولا يسمع الا من كتب ، لاء اذا فهي مجرد عادة قبيحة يجب علاجها ،

ثم قطع تفكيره ان ضعف الازدحام وامسكه ان يتقدم ليتاول تذكرته فتناولها وانتظار يسائل نفسه :

هنا يمثل درجات الناس وتقسيمهم الى غنى ومتوسط وفقير ولكن ألا يرى الكل التمثيل كما كان ويسمعونه كما قيل فقيم يدفع هذا اكثر من ذاك ، اجل انه يقدم اكثر ليكون في مقام ارفع ، اذا بقي كل امر توجد درجات بين الناس يملون علي حفظها ، ولكن الا يتجاوز هنا احد حده كما يتمدى انكثرون حدودهم في كل شيء . اجل كثيرا ما يكون . فلعل متوسطا كان متوفرا لديه المال الليلة والليلة فحسب فجلس في مكان المثرين اكراما لنفسه بل لعل فقيرا يريد ان يجتاز دائرة انفقراء ولو مرة في حياته فيجد ذلك يسيرا في دار التمثيل ويشتري هذا بشيء من الدراهم ونكس أجرد جلوسه مع المثرين يصيره . ثريا ، إلا أنه يشوهم ان كازشاذ الثياب وان لم يكن فهو يرى نفسه غريبا ، اجل انه لغريب عنهم حتى في حديثهم وضحكهم وابتسامهم ، وهنا ازعج كمال وصاح في نفسه : « الى هذا الحد » يفرق بين الناس حتى في الالبتسامة وتكون هذه الالترعاجة قد نبهته فرأى نفسه يفكر هذا التفكير بجانب نافذة التوزيع ثم يرى باب الدخول قد ففتح فياجه مع الوالجين ولا يفوته أن

يُتَقَدُّ ازحام الداخلين مع ان كلا سيأخذ مقعداً معيناً لا يتغير
بتأنيه او بتسرع

ثم يجلس كمال في مكانه ويتسع لقلبه الممذوب طريق
التفكير فان هنا للاتقاد مجالا رحباً .

فنظر فوجد بعض الجالسين في الطليعة ينظرون الي
خلفهم ليروا الناس تقدمهم فلم انهم جالسون في غيره ووضعهم
وانهم ليسوا أهلاً لذلك وأنهم بأنفسهم يستكثرون ذلك على
انفسهم ، ثم نظر فوجد الكثيرين في اضطراب واشتغال لا
يؤهلهم لأن يشاهدوا التمثيل ويتعضوا او يدركوا له كنهها
فلم ان هؤلاء قد دخلوا المجرى الدخول ثم نظر فوجد الستار
قد رفع والتمثيل قد بدى ، فركز فيه بصره وفكره ولكنه بين
آن وأن كانت تعاوده الافكار ويعاوده سلطان الاتقاد فيقهره
كمال حتى لا يفوته شيء من التمثيل وكان يحمل في ذلك جهداً
وبين فصل وآخر كان يحدث نفسه بل هذا الحديث : اني أرى
الناس يتألمون لمنظر البؤس يمثل على المسرح فلم لا يتألمون
للمنظره في الطريق ولم يشيحون بوجوههم عنه في الطريق وهم

هنا محامون اليه ولم أراه يفتبطون بمناظر الفضيلة على المسرح
وينهزأون بها خارجة ولا يقيمون لها ورناء يشمزون من تمثيل
الذيلة هنا ، واغلبهم بين برائتها فاما في هذا وما السر فيه !!
هكذا ايزال كمال يتأفد رأسه في وقت الراحة ويتنبه اذا رفعت
الستار حتي انقضى التمثيل وانقض القوم فخرج في أثرهم ولم
يفتسه أن يرى في فترة خروجهم وانقضا ضمهم ما يبعث على
الاتقاد الطويل .

وكانت الرواية مؤثرة ، تمثيل ظلما فادحا لا يبرر له ان
كان للظلم مبرر فاستل حربة وعاد الي منزله ولم يكن له من شيء
يفكر فيه في طريقه الا ظلم الناس بعضهم لبعض وان احدهم
لا يخشى اذا ظلم من هو أظلم منه . وان واجبه ان يشكفوا الى
النبوض بحياتهم وانهم ايجوز بعضهم لبعض وانهم لبعض من
بعض فيفصل سرب تكبر ووصوله الي منزله فيخادر العربة وباج
الباب ويتقدم في سكون الى حجرته حتي لا يزعج احدا من النائمين
ويخلع ثيابه ويرتمي علي فراشه ، ولما ألم به من تعب وتفكير يزور
النوم لجفاه لوقته

كان والد كمال قد عاد فاستفتي صدقائه وساءلهم عما فعل
في شأن كمال فاجموا رأيهم على تغيير وجه حياته حتى تنجازه
همومه ولا يبدل وجه حياته تبديلا حاسما إلا اقتضاه ممن يشاء
لأنه بهذا يجد نفسه قد تحول الى انسان مسئول واجبه أن لا
يفكر إلا في واجبه الى نفسه والى من يعولهم ومن سيعولهم وقبل
كل شيء قتي هذه الماهة له عن همه الذي ساوره وفيه ارضاء
لشيطان شبابه وفيه دفع لكمال الى الجسد والعمل

أجمعوا على هذا وأبرم والد كمال أن يجابه به نفسه لأن كلامهم
تعود الصراحة الى الآخر في كل شأن، ولما كان أمل الوالد أن
يحسم هذا النزاع بين كمال وهمه بأسرع ما يستطيع عزم أن يفاتحه
سريما في الأمور ألا يترك الأمور تجري كما تهوى فتتلف رأس
ابنه وتلفه مستقبله

نهض كمال في الصباح فوجد نفسه خامل الجسم راكدا
الذهن مما أجهد نفسه في أمسه، ثم رأى أنه قد نهض متأخرا

من فراشه فقدم من الذهاب الى المدرسة هذا اليوم، وجلس في
غرفته يذود الأفكار والأفكار تساوره حتى غلبته علي أمره
فاستسلم لها وأخذ يفكر فيما كان من أمره بالأمر فصمم علي
أن يقل من مغادرتة المنزل ما استطاع لأن الخروج يلقى عليه
رأسه بتفكيره في شؤون الناس وشؤون الناس جميعها مضطربة
نم صمم ألا يفصد دور التمثيل أو سواها، ثم نظر فوجد نفسه
قد أبرم من قبل ألا يصادق أحدا، ثم نظر فوجد نفسه قد مل
العمل فذعر حقا وصاح في أعماق نفسه: وماذا بقي لي في الحياة؟
وهنا اضطرب كمال واشتد وقم المحنة عليه لأنه لأول مرة
في حياته ابتدأ يفكر في قيمة حياته، وابتدأ يصفرها، وهذه
الفكرة خطيرة علي نفس أمثاله ولكنها مقدرة له ما من ذلك بد
في مثل محنته هذه وهماو ذا قد وصل اليها، وهماو ذا قد
اضطرب وعاد فانقلب في فراشه مستلقيا ساهما لا يفكر في شيء
حتى لا تعاوده هذه الفكرة الرائعة، أجل لقد ذادت التفكير عنه
طوقته، لأنها خطيرة، وخطرة حقا
ولم يكن أحد بمنزلة يعلم شأنه لانهم ظنوه أن قد قصد

مدرسته منذ صباحه فظل جامدا في فراشه حتى وقت الغداء

-- ٢١ --

نودي الى الغداء فنزل واجلس ساهما واستفسر والده عن أمور فأجاب اجابة فائرة خدرة يريد أن ينقطع بها الحديث ثم سأله عن شؤون المدرسة فلم انه لم يغادر المنزل يومه فادرك الوالد أن الخمول قد بلغ من ابنته مبلغه فتألم، إلا أنه لم يشأ أن يدلي اليه بمجديد! لافى غده حتى يرى ما يكون من شأنه في يومه

أما كمال فقد تناول غداءه وقصد غرفته وارتقي في فراشه وظل هذا شأنه مدى يومه ولم يكن في المساء في خير من هذا بل نام دون استذكار أو سواه فقد عاد لا يزال الي شيء من ذلك! وفي هذا المساء حدث الوالد أصدقاؤه أن كمالا قد أصبح ساهما، جاء مدا، محبالا صمت، من الأمان الحديث: محبا للسكون، منزجا من القليل بل من لا شيء مبالا إلى الزوم والخمول مبهلا عمله منقبضا عنه، حدثهم عن ذلك فزادوا توثيق رأيهم وطلبوا إليه أن يسرع فيخبر كمالا به قبل أن تضر برأسه فكرة خطيرة

فأضطرب الوالد وذهب على أزيدلى بالرأى الى كمال فى الندم
من ذلك بد

كان هذا اليوم منكودا من فآخته وكان مليئا بالقسوة على
رأس كمال المسكين ، ذلك الرأس الذي لم تنصفه الليالى
لم ينهض كمال من فراشه فى الصباح بل ظل فترا خاملا
لا يفكر ولا يبدى ولا يعيد ، واستمر كذلك حتى عاد والده فلم
أنه لم يغادر المنزل ففهم أن الخول قد بلغ مقصده فصعد اليه
وأيقظه فنهض . مضطربا فقال ما بك فقال لا شيء فأخذ به
ليتناول الغداء ولما انتهيا جاسا وحدهما وكان هذا الحديث .

قال الوالد لقد عودتني يا كمال أن تصارحنى بكل شيء ولا
تخفينى عنى عظيم ولا تافها قال نعم قال إذا حدثنى عما بك ، قال
لا أدري قال إذا تخفتى عنى شأنك قال لا أخفى شيئا وليس عندي
ما أخفيه قال فلم لم تقصد المدرسة قال بنفسى مثل قال فبم لم تروح
عن نفسك بالخروج قال بي خمول عن ذلك قال هذا كل ما لديك
قال بلى قال أصريح أنت فى كل هذا قال بكل الصراحة قال

فلا صارحك أنا برأيي فاستمع إلى: يا بني انني اكثر منك خبرة ودرجة
والمرء لا بد له من الاسترشاد بغيره إن اعجزه الرأي. ولقد
حدثت بسر لما أنت فيه فاستفسرت بعض اصدقائي ممن هذبهم
الزمن وادلى اليهم بعله فاوثقوا ما ذهبت اليه. ولقد اجمعوا أن
لا علاج لك الا بتغيير وجه حياتك قال كمال وكيف ذلك قال
بأن تضم إلى نفسك فتاة تختارها وتجتبيها اليك وأنا كفيف بأن
تكونا سعيدين وكفيف بأن ينقضى ما حل بك فاضطرب كمال
وقال ما فكرت في ذلك ساعة وما ذهبت اليه وإنني لاستكثر نفسي
في الحياة فهل أضرم إلى سوى ، هذا محال قال والده ولكن هذا
علاجك قال إنى لأعلم بنفسى ولا يمكن أن يكون في هذا خير
قال ولكن هذا ما أريد فأطمئني قال لاستطيع يا والدى فبدت
في الرجل حدة القرويين وقال وهل تستمر مستطردا فيما أنت
فيه قال كمال لا أدري قال ولكنى أدري أنك ستستمره وتستمرىء
النوم والبطالة قال ما خلقت كسلا خاملا قال ولكنك ستكونه
وهذا مالا اقبله فقال كمال وقد ثار رأسه لهذه الكلمة الجامحة
ليكن ما يمكن أن يكون فتار الوالد وصاح في وجهه صيحة مزعجة

هذا لا يمكن أن يكون وأنا حجب دون ذلك وستعلم كيف أقود
الأمر ثم تركه وانصرف وفي صيحته قدم أخ كمال ألا كبير
فما زال بكمال يتلطف اليه ويخفف من ألمه ويطلب إليه أن
يظيع والده في كل أمر دون تهكير فقي ذلك الخير كله
وكانت هذه الكلمات غريبة لدى كمال فصاح باخيه وظنها
مؤامرة عاياه وصعد إلى غرفته خائر النفس فارتقي في حال سوء

— ٢٣ —

ساعات حال كمال وأصبح لا يعمل له إلا التفكير الأليم
والنوم المضطرب ولم يمد يفكر في دراسة أو سواها وكثيراً ما كان
يهب من عجا ئاراً إذ يتذكر ما كان بينه وبين والده ختي ساء
ظنه بالناس جميعاً، وكان يرى أنه في محنة كان يجب أن يما مل
فيها بكل عطف وأين ولكن والده قد قسا عليه كل القسوة بل
أساء إليه وأخوه كان طمئناً إلى ذلك. وهذا ولم جد الأ لم قمين
يثق كمال بعد ذلك وأى حب يمتبره حقاً وما قيمة الحياة أن
انقرعنا الحب من القلوب بل ان قتلناه مثلاً.
كأنما ذكر كمال القتل بكلمته هذه فثار زانه وتنادى نفسه

نفسه صائحاً محالاً ما بقيت في الحياة وأنا لا أستطيع ان اسير الناس على ما هم فيه ولا أستطيع ان أدفعهم عنه ، ألا اني خلقت زائدة في هذا العالم ولا مكان لي فيه ولذا فقد ضاقت بي الحياة . فاضطرب لهذا الفكرة الشائرة فصاح صيحة مزعجة دون ان يدري او يستطيع قيادة نفسه

ولما افاق وجد اخاه بجانبه فصاح به ان اغرب عني فكاسم .
ثالثون على ثم لرتني في فراشه خائراً

— وما زالت تلك حاله عدة ايام حتي علم والده ان هذه حالة قاسية والسكوت عليها طامة . فيجب ان يزال ما كان بينهما ويجب ان يكون بجانب كمال في محنته وموقفه المصيب

اتخذ الاب وسيلة لما يريد لإنساناً وديماً كان يحبه كمال من قبل ويتعشق حديثه فقصده كمالاً . وما زال به يشبهه من غضبه ومخفف من حديثه ويفهم من كنه محنته . حتي استطاع ان يفهم كمالاً انه اخطأ فهم والده . ولما باحث جاد عما يرفع من محنته وعما يقتل همه وانه لا يعمل له الا ذلك ، وانه هو

كبدته التي تمشي على الارض وان همه همه وما زال به كذلك
 حتي اقنعه بحسن ما كان يريد والده وبطبيعة قصده فتأثر كمال
 وادوته نفسه ووعدته ان يستغفر والده ساعة يرؤه وطلب اليه ان
 يعمل على نحو ما لدى والده من فكرة مغرية وسر عجيب لمخنته
 فوعدته الرجل بآداء ذلك واخبره انه قد فهم احسن الفهم
 ما به وأنه سيعمل على علاجه فاطمأن كمال قليلا لانه كان يشق
 بمقلية هذا الرجل وكان يحبه حُسن تفكيره ودقة آرائه وبعد
 نظره، وكم ذايقل الحب وكم ذايحل من معضلات
 وانصرف الرجل ودعا من كمال أجل وداع تاركا كمالا
 في حال ارقى وأهـ ن

أخذ كمال يفكر بعد ذلك في مشكلة الزواج التي جعلوها
 هدفًا لانظارهم فوجدوها تافهة كل التافهة في حَاله كالتى يجتازها
 ولئن عولج بها سوا فليس معناه أن يمالج هو بها ويستم له الخير
 منها، أجل أن الرجل يجب أن يكون قادرا علي القيام علي
 شأن زوجه وكمال في دراسته لا يزل، فكيف يقوم علي شأن سواه،

ثم استطرد فحدث قسه هذا الحديث:

ولكنني لا أنكر أننا قد نشكك الزواج من حيث يجب أن تكون أهون من ذلك. إنها علاقة طبيعية يجب احترامها ولا كنا نرانا كل يوم ندفع بأنفسنا عنها ذلك لانا ضيقنا سبلها وأقننا العوائق دونها وجمعنا بحول الانسان سواها. مشكلة كبيرة فنحن الاولى أكثرنا من حاجتنا فضاقت بنا الحياة وإن تكن أهون من ذلك، وهناك داعية أخرى فنحن الاولى وضمننا نظاما للحياة يصل المرء بها إلى سن متأخرة ولا يزال عاجزا عن عول نفسه بل لا يزال يمهّد طريق حياته فاذا بهد الانسان حياته إلى سن الخامسة والشرين أو إلى سن الثلاثين فتقيد بحياة زوجه يكون قوة عاملة في الوجود أو يكون ذلك في كونه، اللهم لقد أسلنا تدبير الحياة وعدنا بها وأحيانا سبلة إذا أردنا وعقدة إذا شئنا وكما زدنا أغرابا في أمة وزها زادت عقدها شدة وتوثقنا وزدنا ضيقا وتألما

كان كمال يأتني نفسه كذلك إذا هو بوالده قد دخل إليه فنهض إليه وحياه أجنحت تحية فقال الوالد انني يا بني. أردت لك

لا الخير والاحل . معضلة تزل بك فحرت في أمرها ولم اجد
لها حلا الا ذلك فن كنت قد اغربت فيه فكيف يغرب الطيب
فاستسبحه كمال فقال يا بنى ما نى شئ منك ولا اودى الى من راحتك
ثم طلب الوالد الى كمال ان يكون أرخي بالا واهدا
نفسا والا يغرب في تفكيره وتمنى له ان يعود الى سيرته الاولى
ثم نهض

كان هذا الذى اتخذ وسيلة سلام بين كمال ووالده رجلا
أريافا استطاع ان يدرك محنة كمال ويفهم ان ما ناله كان من
اغرابه في التفكير وان ما جرى عليه ذلك هو حدة ذهنه وقوته على
التدقيق في الامور وصبره على الذهاب مع آرائه في كل مذهب
وتلك معضلة يقع فيها أمان كمال ويتباين حلها بتباين قوتها
لديهم وقوتهم على مقاومتها وما يميلون اليه مما يصلح لا تدفع
به ، واذا كان كمال غرما بكل غريب مونا بالبحث فقد اراد هذا
ان يوجه فكر كمال الى اتجاه آخر من التفكير وأن يدلى اليه
بمناظر لم يرها من قبل وأن يهيج نفسه للكتابة حتى ينحاز عنها

الهم: فإذا ما كان ذلك ودعت هذه الآلام والافكار السوداء
 كمالا وعاد الى رأيه القويم في الحياة وانتادت له الأمور، من
 أجل ذلك رأى هذا الرجل أن يرحل كمال الى بلد آخر يقضي
 به هذا الصيف فلم يجد بلداً أجمل واكثر ملاءمة من لبنان
 فأدلى بذلك الى والد كمال وأخبره انه سيصطحبه الي هناك لانه
 يريد ان ينعم بالرحيل إلى هذه البلاد الرائقة الجميلة، وأن ينعم بمرافقة
 كمال وأن يقوم على قتل هذه المحنة التي تعدت عليه وسلبت راحته
 واطمئنانه وهدوء فكره. فوافقه الاب لوقته وأعجب بفكره
 والقي اليه الامر كله لما يمتد فيه من كمال رأى وحسن تدبير

بعد ان ترك كمالا والده هدايت نفسه قليلا واخذ يتفهم
 هذه الحالة التي امت به فلم يستطع فهمها ولا اكتناها فهي حال
 عجيبة حقا: خمول. وسوء ظن بالناس وماله عهد بذلك. وضيق
 صدر وقد كان رجلا. تذكر ذلك فألم ثم تذكر أنه الا زاحسن
 حالا فديده الي كتاب ليقرأ قليلا فلم تمض به صفحة حتي تولاه
 الملل فالقي الكتاب وعرف ان الداء لا يزال في ثيابه وان المحنة

لم تفك اطنابها ولكنه زاد عنه هذا التفكير لينام منامنا هذه
 الليلة لعله يكون في صباحه اكثر نشاطاً، وارضى بالا
 لك الخير يا كمال . كم ذا تنقلب بين هم واطمئنان وبين راحة
 وعناء وبين تفكير معتدل وآخر مضطرب !

فلما همض في الصباح اراد ان يتخذ هذا اليوم ترويحاً
 لنفسه فاتخذ صحيفته ليتصفحها واذ هو برفيق الامس قدم اليه
 فلما جاءه انس اليه وبعد قليل قال أظنني يا كمال قد اهديت الى
 حل جميل لمضلتك قال فاعساه يكون قال ان ذافر معالي لبنان
 الجميل فتشاهد مناظر بديمة وعادات غريبة ويتسمع لديك مجال
 التفكير الهادي المنتظم وترجع الي نفسك فتعلم خيرها وصالحها .
 ففكر كمال قليلاً ثم رأى ان هذه تجربة ربما كان الخير في ادائها
 قلل فيها ما يذهب بهمه وينشط قوامه ويعيد كماله الأول فهو
 لا يحب القصور ولا يميل الى الخمول

فاتفق ورفيقه ، أجل لقد اتفقا على الرحيل الى لبنان الجميل

أخذ كمال بعد ذلك يحدث نفسه هذا الحديث : إذا

سأسافر إلى لبنان وسيكون هذا ريفي، ولكني محب للعزلة،
نعم ولكن الرجل إذا كان دقيق التفكير جميل الرأي استمع
الإنسان إليه باغتراب كأنما يقرأ كتاباً لذيذاً، فلا ضرر من أن
أذهب في رفقته على أن يكون لي الرجوع إلى نفسي والعزلة بها
أشياء حتى أستطيع أن أفكر في هدوء فهذا كل ما احتاج إليه بل
هو كل ما يعوزني الآن ولا بد أن ريفي هذا سيدرك ذلك فهو
رجل حنكة ورأى، أما الرحيل إلى بلد آخر فاني سأجد فيه مجالاً
للتفكير في شأن قوم لم أعاشهم من قبل وفي الموازنة بين أخلاقهم
وأخلاقنا فأنما يظهر الإنسان أنه خالق بإنسانيته أو غير أهل
لها بأخلاقه، وتظهر البلاد وحقيقتها وسيرتها وتاريخها بما يراه
المرء فيها من أخلاق كونها الأجيال المختلفة والمحن المتوالية
فالبلاد كالفرد تهذبها الحوادث أو تدغوها إلى الترد على كل
فضيلة وخلق قويم، وهل البلد إلا مجتمع أفراد إذا فسيتجه
فكرى، فمن ذلك بد كما يقول ريفي ولكني لا أدري أيكون
في ذلك انزعاج همومي وأفكاري الغربية، أم أني إذا رايت هناك
ما انتقم عليه هنا فاني سأنتقم في ساحة أرحب وسيكون هي

أبلغ وستصفر أمامي قيمة كل شيء. أواه...
 وهنا يضطرب كمال ويضبط جبينه بكفه خوفاً على
 رأسه أن ينفجر لأنه تذكر قيمة نفسه وتذكر أنها ستصفر لديه.
 وقيمة حياته وأنها ستزول عليه. وإذا فلا يزال شبح هذه الفكرة
 الخطرة ماثلاً أمامه وهو رجل عزم وقد يحدث من هذه الفكرة
 شر كبير

ثم استيقظ قليلاً ونظر نظرة أبعد فقال:
 وماذا أخشي من هذه الفكرة؟ أجل أنني إذا هانت
 لدى حياتي لم أعد أرى معنى لبقائها في الوجود لأنه إما أن
 أفهم الحياة وأقف موقفاً شرفاً في ساحتها وإما أن أغادرها
 وأن الله الذي جعل لنا طريقاً واحداً للقدوم إلى هذه الحياة جعل
 لنا مائة طريق للخروج منها سهيلاً لهذا الخروج. ثم جعل أمره
 لا يتجاوز ثانية واحدة تهوينا له فكان المرء يقطع ما بين عالمين في
 مثل هذه الفترة ثم يغدو إلى عالم آخر لا يمكن أن يكون
 مضطرباً كهذا ولا يمكن أن يكون أقل منه قيمة...
 ثم اتبه انتباهة قوية وصاح لنفسه: يا هذا وفيم أفكر، يا هذا.

وفي هذه الاضطرابه كان والده قدما فقال مابك يا كمال
قال لا شيء فلاحظ الوالد كل شيء ثم قال لقد اتفقنا على سفرك
الى لبنان يا كمال لتروح عن نفسك واني اتمني لك السعادة والعود
الحمد، قال كمال سأفعل ما يرضيك يا والدي واؤمل الخير في
رحلتي، قال اذا فسنعد كل شيء

— ٢٩ —

مكت كمال بعد ذلك منتظرا يوم الرحيل إلا أنه كثيرا
ما كان يفرق من القدوم على هذه الرحلة خشية أن تعجز عن إزالة
همته فتكون قاسية القبي لأن المرء إذا وقف على أمر اهمية كبيرة
ثم أخطأته لم يعد حيث كان من قبل بل عاد أسوأ حالا مع أنه لم
يخسر شيئا إذ لم يربح شيئا ولكن هذا شأن الآدمية وعلى هذا
جبلت النفوس، فضياع الأمل خسارة وكئي، ولكن كمالا في
حين آخر كان يطمئن إلى هذه الرحلة فهو لم يقادر مصر قبل
ذلك وهو يسمع الكثير عن لبنان الجميل ويسمع أن الطبيعة قد
وضعت في أحسن مالمديها من ثياب وهندام وأنها قد نمتها تنمية
بدية، وهو مغرم بالجمال في أي صورة من صورته . فهو لذلك

مقدر له الاغتياب برحلته

وما زال هذا شأن كمال يشفق ثم ينتبط ويهدأ ثم ينور
حتى كان يوم الرحيل فأراد أن يضع همه في زاوية من قلبه وأن
ينعم بهذه الرحلة الجميلة وأن يؤمل خيراً. ثم جهد حتى غاف همه
بغلاف من الاطمئنان حتى لا يتزعج ذووه لدى رحيله وبمسد
رحيله وساعده الاقدار قتم له. أراد

- ٣٠ -

كانت ليلة الرحيل فزوده والده بالنصائح وملا بها جميعته
فنام. طمأننا ونهض في الصباح فودع أهله أجمع وداع وودعه
الجميع خير وداع وركب القطار هو ورفيقه الزيز وما غربت
البلد عن عين كمال حتى شعر أن قلبه قد ثقل وكأنها عبط الى أسفل
من موضعه، ثم تذكر أن هذه الرواية المؤلمة لم تكن مقدرة له في
حياته، هذه الرواية المؤلمة التي أزعجته وأزعجت ذويه. فما أسر
فيها وماذا يريد القدر من تمثيلها وبم يريد أن يتمها وهل سيكون
قاسيها أم رحيمها، تذكر ذلك ثم حدث نفسه كشأنه دائماً: لا
عني فاني جلد أتحمل كل شيء وأقدر كل شيء، ولكن الذي يشغل

قلب المرء بالاسى لما هو ان يسكون . مبيت الم لسواه وخير لي
ان أجمع هموم الناس جميعا على ان احل احدا منهم هما .

الطيب قلبك يا كمال . واجل تفكيرك . اجل ان الانسان

يجب ان يقدم الخير والخير لا سواه . لسواه فان لم يستطع فلا اقل
من الا يقدم اليهم سوءا . علي ان كمالا لم يقدم سوءا .

الو احد وامكن . مثل نفسه الرقيقة تعزوا . الم

بذوبه . من هم اليه ينما هي ارادة القضاء التي لا يد لكمل فيها

ولكن هدا شأن النفوس الطيبة تحمل نفسها كل تبعه ولا تحمل

سواها شيئا . بل لا ترضى ان يخليها الناس . من تبعه ليجملوها

اقدمهم

كان كمال مستطردا في افكاره فنبهه صديقه الي منظر

سير به القطار فانقطع سيل افكاره وكان . مستلذا اياه . وحده

ذلك الى ان يفكر فيما سيكون من شأن هذا الرفيق معه فانه ليتالم

كثيرا لقطع صفوف افكاره والاعتراض دونها . ثم عاد كمال .

فلام الصفوف ولم . ثم كثيرا برؤية المتظر او سواه كانه نسي

ما عاهد نفسه عليه وادرك ذلك رفيقه وما كان له من غرض

الا ان يسر كمالا فلما رأى ان سروره في التفكير ازمع ان
يترك له حربة ذلك . وكذلك أحسن إلي كمال وكفاه مؤونة
تنبيهه إلى هذا . وأصبح هذا شأنه معه . مدى رحلته إن سأله
أجابه وأن رآه مهما بامر أو منظر حدثه عما يعلم عنه وان رآه في
ساحة التفكير تركه فيها لاهيا . ووجد كمال وهو في القطار مجالا
كبيراً للتفكير في شؤون الناس فهذا مضطرب في غيرة . ماداعية
تلاضطراب وهذا منزعج ولا بد أنه متوقع محنة أو متهيب
إياها أو راحل ليعلم كنهها وهذا مقتبط وكأنه مسافر لترويح
النفس أو رياضة الجسم . وكان كمال يشاهد في كل محطة قوما
يودعون سواهم وكثيراً ما رأى باكين وصارخين لدى وداع
عزيز لديهم فيقول في نفسه ما أرق قلوب المصريين وما أخف
عاطفتهم فإذا يعملون لو أنه كان راحلاً إلى بلد يقطع دونه
أراضي وبحاراً . الا أننا في حاجة لان نكون أكثر احتمالاً من
ذلك وأصلد قلباً ، وأقدر على متابعة شؤون الحياة ثم تذكر
لساعته أنه ضيق بها ولم يتحمل شيئاً إلى الآن من متاعبها الحقبة
فخيّل إليه أن يحمل نفسه هما وهمياً لا حقيقة له وما كاد يتابع

افكاره حتى كانت بورت سعيد قد لاحت فانتمذه من هذ
التفكير

- ٣١ -

قضى كمال باقى يومه وشطرا من ناليه في بورت سعيد
وتلك بلدة جديّة راقّت كمالا واعجبتة، فسار في الاصيل على
شاطيء البحر الذى يتكىء على هذه المدينة كما يتكىء على مدن
أخرى سواها اثناء طريقه الشاق من الشرق الى الغرب، رأى
كمال قوة البحر وساطانه فاصغر من شأن الانسان واستنقسه

ثم ما لبث أن ذكر أن هذا الانسان الذى لا يساوى في
جسمه ووجه من أمواج هذا البحر الخضم قد ذلل هذا البحر
وركب منته واستخدمه فيما يشاء فأعجب ثانية بقوة الانسان
وعقليته وأدرك أن الله ما وهبه هذه العقلية إلا ليستكشف بها
أسرار الوجود ويقدر بها القدرة الالهية لأنه أقدر على التقدير
بعقليته من سواه بقوته ثم ذكر أن هذا البحر إن غضب أو احتد
لم يبعد معه قوة الانسان شيئا، ثم لم يلبث أن تذكر أنها جمحة

كجمعة الجواد يلقي براكبه أو يلقاه ولكنه لم يزل ذلولاً ، إلا أنه أدرك أن واجب الانسان أن يصل بهقيته وكفايته إلى أن يجعل ظهر البحر آمن ركباً من ذلك ، فقاده هذا إلى أن يفكر أن أمام العقل مجالا رحبالعمل وأن كل انسان يجب أن يأخذ حظه من هذا العمل ، ثم انتفخ كمال فرحا وهو سائر لأنه ظن أنه أدرك سر الوجود وأدرك أننا خلقنا لنستخدم عقولنا ونسعد بلذات التفكير وأن كل ما سواها تافه ولكنه ذكر أن الذين يفكرون يستعبدون التفكير حتى يصبحوا آله حية له يخدمون الغير ولا يشعرون بسعادة ما هم ذكر أن المخترعين والكاتبين والمفكرين يحبون منكبين على عملهم متعيين منهمكين حين سوام راغد فهل هؤلاء سعداء وهل هذا هو سر الوجود

عاء كمال فارتاب في الأمر وَاكْتَأَبَ نَمِ أُرْمِ فِي نَفْسِهِ أَنْ لَا يَبْدُلَ الوجود مِنْ سِرِّ آخِرِ

كل ذلك كان وهو سائر على ساحل البحر والبحر يصخب ولا ينتبه حتى نبهه رفيقه الي تمثال دي لسبس فقال كمال في نفسه هذا رجل خدم العالم ولم يقدم له صرخا وهذا تمثاله مقام

في أرضها مبجل من بنيها، ثم عاد فقال لا أعلم يسىء الي مصر
ولكن مصر هي التي أساءت الي نفسها واطمت خدّها وغدا
تستطيع ان تمحو أساءتها ثم عاد فقال لا، ان مصر لم تسيء الي
نفسها ولكن مركزها من العالم هو الذي رماها بسوء حظها.

ثم انقبه كمال الى ان عدد المصريين المرتاضين دون عدد
الأجانب بكثير فأيقظ رفيقه الى ذلك فقال هذا ان الأجانب
يقدرّون هذا بحكم تربيتهم الأولى وعائيتهم الكبرى بصحتهم،
وان الأسرة لتخرج بأطفالها وشبابها وشيوخها الى الرياضة
بينما لدينا حدود صماء بين هؤلاء ثم ان أطفالنا لا تكاد تفارق
منازلها خشية عليها من أن ينالها سوء وشيوخنا لا هم لهم في ذلك
وشبابنا بعضه يقدر ذلك وبعضه يفضل اللهو او القعود، وليس هذا
شأن جميع المصريين ولكنه شأن الكثيرين منهم قال كمال
وهناك أمر سوى هذا فقد رأيت هذه البلدة منقسمة الى شطرين
وفيها يتمثل الفرق بين عناية الأجانب بالظواهر واهمال
الكثيرين من الوطنيين لها فالمتاجر الاجنبية والمنازل كذلك
رشيقة وأنيقة فواجب الوطنيين أن يدرفوا أن لتلك تأثيراً في

النفوس والاذواق وفي استجلاب المنفعة فقال الرفيق وعلى كل وجه فهذه بلدة حديثة السن وهي ناهضة ومتقدمة تقدم ما معقولا ثم بقي كمال نظارة إلى القناة فرأى كل سفنها اجنبية، وكل ما بها اجنبي فخيّل اليه أنها بكائيتها اجنبية عنا فوجم وساءل نفسه أيكمهي أن تفتح الابواب لمرور رسو العالمين، ان هذه لو وظيفة حقيرة، ألا إن واجبنا ان نأخذ بمحظنا كبيرا من هذه القناة ثم تذكر أن يوم هذا قريب فاطمان كان ذلك ثم عادا إلى النزل بمدان شاهدا في المدينة كل ماشاءا مشاهدته

نحن نرى إذا أن فكر كمال قد اتجه الى جهات شتى وعمل في مجال أرحب وانه لا يعود إلى ساحة أفكاره السوداء إلا في فترات قليلة وهكذا تتفقه هذه الافكار شيئا فشيئا، كما كان يقول رفيقة، أجل ان رفيقه كان مغتبطاً، ولم لا نتيجة قيمة وكان يعتمد ان كمالا سيود اكثر حصافة وأتم دقة واعظم اظهنا وأعرف بواجبه وأهدأ تفكيراً، ولقد احسن القدر الى

كمال بأن هياً له هذا رفيقاً فانه كان يعرف كيف
 يوجه فكره دون ان يؤلمه وعلى المرء ان يتخير رفيقاه تحييراً
 دقيقاً لاسيما في مثل هذه الرحلات التي لو ظهر فيها تباین
 في الرأي والتفكير لساء ثره وساءت الرحلة بكليتها إلا ان هذا
 الرفيق كان يعرف مايلذ لكل فكان يقدمه له في غلاف جميل
 من الايضاح والنصيحة ولم يفت ذلك كما لا فقد ادرك أنه يستطيع
 ان يستفيد كثيراً من رفيقه هذا لأنه لم يجرب ناصح حسن
 التفكير ولو ان في رفقة كمال انساناً آخر ممن لا بهمهم البحث في
 عظم البحر او الفرق بين الناس او مثل هذا او مثل ذاك لآلمه
 وكان طامة اخرى على رأسه وليكن القضاء قد انصف بأن
 هياً له هذا رفيقاً

إذا فالقضاء يعطف على كمال وان يكن من جانب آخر
 قد أزل له هذه المحنة، ولا بد لها من سر

هض كمال في مطالع اليوم التالي ذشيطاً مبهته جابض الابتهاج
 فسر رفيقة وأشار عليه ان يقصد البحر ليستحقاق ذلك انماش

كبير ورياضة جميلة فأبى كمال وكان لإثوؤه دليلاً على أن الخمول لا يزال في بردته أو دليلاً على أنه يسكب هذا المجرّد في سبيل هذا الاستحمام فقال الرفيقان على المرء يا كمال أن يخلق من حياته لذة وسعادة من كل طريق وإن ابتدرته لذة فلا يفوتها ولا يؤجلها فاعلمها لا تعود وما الحياة إلا اتهام لذة وسعادة وهما لا يقعداننا وإنما نحن الأولى نقصدهما ونتمسك بهما وتأخذ بحقنا منهما فأجب كمال بهذا الحديث ورائته ثم رأي أن في مغالبة المرء للأمر واج لذة لا بأس بها وأن اشفاق المرء منها لذة أخرى ثم سمى لأن فكرة قد اطلعت:

فقال في نفسه ومم أخاف هل تبدل شأني؟ أتحيفني الموت وما كان يحيفني من قبل أم تخرجت أن تغابي الافكار السوداء فأقدم نفسي هدية بين يدي البحر!

ثم عجب لشأنه ودفع هذه الافكار عنه لأنه اعتزم مدافعتها منذ أتم رحلته وأبرم أن يؤدي هذه الرحلة ولا يد من ادائها وها هو ذا قد راقه استحمام البحر ولا بد أن يستحم ولو قته أجاب رفيقه بالقول

فنهضامنا وقصدا البحر ووجد كمال الاسر الاجنبية
 معنية بهذا الاستحمام آخذة من الرياضة بحقها ومن الحياة أيضا
 بحقها ووجد الأطفال الرراير يلاتبون الامواج وهي تداعبهم
 من حيث كثير من اشباههم من المصريين لا يجرءون على شيء
 من ذلك ثم ذكر اننا في حاجة كبيرة لان نخدم صحتنا لانها هي
 ثروتنا الطبيعية التي يجب الاحتفاظ بها ثم لم يلبث ان ذكر انه
 اشفق منذ قليل من الاستحمام وكادت تجربته افكاره الى ساحتها
 لولا ان ناداه صديقه الى الاقتناع بهذا القدر من الاستحمام
 فلطم الموج رأسه وعاد معه وهو يقول في نفسه هانحن اولاء
 نلطم البحر ولا نبالي بمظلمه ولكننا نظرن نظرة اخرى فقال
 ولسكننا معتدون بحماية الارض لنا امامي داخله فنحن ضعاف
 واكثر من ضعاف ونخشى ثورانه لان فيه الموت الازرق
 ثم خرج من البحر دون ان يقف امام كلمة الموت ويحتأبوا نستطيع
 ان نفهم ان افكاره بدأت في الاعتدال ولكن ذلك يبطء
 كبير، ولا ندرى ان تنكس ام لا ثم ارتديا ثيابهما وعادا الى الفندق
 واصطاحبا متاعهما وقصدا البحر

استقر بهما المقام في المركب وبعد قليل نهضا لا يتفقدان نظام المركب
 ولاحوى فوجد اكل شيء به كمال النظام على كثرة ما به ووجد
 الركاب هادئين ليس بينهم من ضجيج على كثرة ما كانوا ورأيا
 كل شيء في المركب آخذ موضعه باعثا على الاطمئنان ،
 وتطلع المركب وأخذت البلاد المصرية تغرب عن
 الانظار والركاب جميعا محذفون اليها بأنظارهم كأنما يأخذون
 نظارة طويلة من مصر قبيل فراقها ، من مصر بلد الجمال
 والاعاجيب والدعة ، ثم اختفت بورت سعيد عن الانظار ولم
 يبق إلا البحر بأفقه العريض الذى لا يحجمه النظر فأجال كمال
 نظره في الراكين فوجدهم ساهمين ولا سيما حديثو العهد
 بالكوب ، وعند هذا قال له رفيقه لا تطل نظر تمك إلى البحر وخير
 لك أن تسير قليلا حتى لا يأخذك دوار ، قال كمال إن الأمر
 شأنه وشأن الارادة وهما أنذا قد شئت ألا يحدث لى شيء
 ن ذلك ولا بد ألا يحدث ولقد كان كمال صادقا فيما يقول ، ثم
 أخذ يتأمل البحر وينظر إلى الامواج محدثة نائرة ممتدة بقوتها

وعندها حتي اذا قاربها المركب حنت رأسها وطأطأتها
فامتطأها المركب ثم تركها لسواها فسر كما بالذلك وأعجب
ببني آدم وعقليتهم وكان البحر هادئاً رزينا فتذكر كما بال أن
هدوء الفوى رزاة وهدوء الضعيف استكانة ولم يفت كما بال أن
رى قلبه المصريين الراحلين أو رى جمال الاسرة الاجنبية
بأطفالها وشبابها وشيوخها راحلة من بلد الى اخرى لتخط لها
مكانا آخر فى الحياة والعزم يقودها والارادة تحددوها فسر كما بال
بذلك ورأى أن المصريين لو اولعوا بالمهاجرة او التنقل من
بلاد الى سواها لجأوا من ذلك كثيراً لأن قلوبهم سريعة التأثر
وعقولهم سريعة الالتقاط ولديهم عاطفة واستيقاظ فكر، ومن
كان كذلك يستطيع ان يستفيد كثيراً من كل شيء غريب عنه،
ثم نثر الى رفيقه فوجده ساهما فـأله فـيم تفكر فقال ولم يكن
له ان يقول : افكر فى امرة تركتها خايمي وقـيما قد رلى فى
رحلتي وإنما قدر لها بمد ذلك فاحتد كما بال وقال الاتزال
هذه الافكار تساور الكثيرين كلما انتقلوا من مكان الى سواه
ولم لا يكون قضاء السوء ومحن الحياة الا فى الانتقال ؟ ، بل

مامعني ان احدنا ان تغيب عن ذويه بضعة ايام لو تغيبت عنه
 كتبهم حل به تشكك عجيب وهم بليغ ، الا اتنا في حاجة لان
 نكون اجراً من ذلك واكثر احتمالاً . قال ذلك لرفيقه وكان شديداً
 في قوله لانه دائماً شديد في الحق ، فقال لرفيقه غداً أكمل تعرف
 حب عائل الاسرة لها وما يلاقيه من فرقتها . فصمت كمال
 وشرد فكره ، ولم يكن غرض رقيقه الا ان ينبئه الى حب الاسرة
 لان المحبة التي ألت بكامل قد اضعفت من حبه لسواه بل من
 حبه لنفسه الا ان الرفيق لم يصب في هذه المرة المرمي لانه
 أيقظ كمالاً الى ان يفكر في حب الاسرة وسواها . ما كان له
 ان يفكر في ذلك الآن فقال كمال في نفسه : انه يدعوني الى
 حب الاسرة وانى لأرتاب في حبي لنفسي بل يخيل الي انى
 اعذبها من حيث ادري ولا ادري ! ثم سهرم وكانته اشفق على نفسه من
 التفكير وقد عاهد هان يتمتع عنه . ما استطاع ، وكان رقيقه ادرك
 ذلك فاراد ان ينحى فكره عنه فقال هل لك في نظرة الي ركاب
 الدرجة السفلي ، فهام اولاء هادئون راضون بمنزلتهم ، ولا
 يفكر احدهم في انه كان يجب ان يسوى بسواه ، وهكذا يجب

ان نحترم الواقع. قال كمال وهذا تقسيم عادل ولا بد ان يكون
الناس بعضهم فوق بعض درجات في كل شأن ومهم بآثاره
علي ذلك لانه نظام حكيم عادل قال الرفيق ان في استطاعتهم
ان يثروا علي هذا النظام او ينقصوا عليه ولكن ذلك لا يجدي
عليهم شيئا

أخذوا كذلك يتحادثان حتي جن الليل ولبست الطائفة
ثوبها الاسود الرسمي اجلالا لسلطان الليل وسكن الجميع
رهبة واحتراما وانسجبت الشمس عن أريكتها وقام القمر مكانها
فكان لهذا كله تأثير جميل في تفسر كمال

ثم ظلا كذلك حتي حاز وقت الطعام فنهضاليه ثم استراحا
قليلا ثم نهضالي فراهما ونام كمال تلك الليلة نوما هادئا تشبها
بالاحلام اللذيذة من جمال ما شاهد وجمال ما يشاهد

نحن نرى ان كمالا قد رأى في الوجود مناظر تستحق
أن يملأ المرء منها نظره واه ورا تستحق ان يشبع منها فكره
لان المرء بر كوده في مكان واحد تحت جو واحد بين مناظر

ثابتة لا تتبدل بل التفكير فيها إذ لا يجد بهامن جديد وانه اذا لم يجد حيلة يشغله فان فكره سيتجه الي الوجهة الاخرى .امن ذلك بد اذا كان من دأب فكره ان يشتغل ، اجل سيتجه الى تمحيص الامور الدقيقة وبحسبها لان الامور الواضحة قد قتلها معرفة وبحسبها وملها كل الملل ، واذا كانت النفس رقيقة حساسة . فستأثر كثيرا بهذا البحث واذا لم تهتد الي نتيجة تطئن اليها فسيكون هذا طامة على رأسها والواقع ان هذا الباحث المدقق كلما اهتدى الي فكرة قادته الي سواها لانه عميق التفكير والموضوع بعيد المدى أولا مدى له فلا بدأ أنه سيصل الى نقطة يحار فيها فيقع في نفسه الشك والشك أليم على النفوس واذا داخل الشك نفسا في أمر من الامور تسرب منه الى كل أمر وأصبحت حياتها غصة ، وهذا ما كان من أمر كمال في بادىء محنته ، أما الآن وقد وجد مناظر كثيرة متباينة للفكر مراح ومغدى فيها فهو مطمئن لانه كلما استرسل في فكرة برزت له سواها في منظر آخر فترك هذا لذلك فهو في منجاة عن التعمق وهو بعيد عن كل موقف حرج ،

فانظر ألتستمر به تلك الحال أم ينقلب على عقبيه فان الداء لا يزال كاملاً في نفسه والمحنة لا تزال محتوية إياه وان كانت لا تبدو واضحة للعيون

وأصبحا وكان منظر شروق الشمس جميلاً فأعجب به كمال
اعجاباً كبيراً ورأى فيه قدرة الخالق تقرأ آيتها كل عين ثم تذكر
أنه لم يخرج يوماً واحداً من منزله في الصباح قاصداً أن يعلأ عيذه
من هذا المنظر وجماله مع اننا يجب أن نشبع أنظارنا من هذه
المناظر ونغذى بها نفوسنا ويجب ان نفهم سر الجمال في مناظر
الطبيعة جميعها، ويجب أن نأخذ منها بحظنا ففي ذلك نوع من
السعادة وهل هناك جمال خلو من السعادة وهل كان الولع
بالحسان الا اعجاباً بجمالهن وانهم خلق متقن وصنع منتظم من
صنع يد الله الجميلة ومن ذا الذي لا يعجب بما تصنع يد الله
وتتق

وكانت هذه جديدة في حياة كمال وما كان له عهد بأن يقف
أمام جمال النساء ويبحث كنهه بل كان يمر بذلك مروراً كريماً أما

الآن فقد وقف مدققاً، ومرت أمانيه وهو في تأمله هذا فتساءل
 • منسقة الجسم تنسيقاً جميلاً ، قد نمتها يد الله فأبدت ، فتألمها
 كمال تأمل لا دقيقاً كما تأمل المرءية جميلة وما كان عبده
 كذلك من قبل بل كان مخجل من مثل ذلك.

ثم شردت به فكرته فقال إن النساء بخالهن للرجال
 وحديثهن اليهم يبين في الرجال عاطفة رقيقة ويخففن من
 خشونتهم بقوة رقتن وجمالهن ، أجل إن للجمال قوة وسلطاناً
 ولكنه عاد فتذكر أن الخاطبة لا بد لها من الخلق القويم
 والفضيلة فصاح في أعماق نفسه ابتها الفضيلة أنك كل شيء في
 الحياة ثم كأنه شرد فقال ألا تكون الفضيلة هي سر الحياة
 وتكون حياتنا من أجائها ثم وجد نفسه قد استطرد إلى البحث
 عن سر الحياة فيخشي العاقبة فانهطع عن التفكير فجأة فكان
 لا نقطاته صدمة آتته لأن فكره كان مندفعاً فأوقفه دفعة
 واحدة

ثم نهض إلى رقيقه ولم يكن قد استيقظ بعد لأن كمال ادعاء
 إلى أن يشاركه في رؤية منظر شروق الشمس فلم يشأ ولو أنه

نمض لما رأى في هذا المنظر . أراه كمال ولا انبث إلى ما انبث
إليه ، ذلك لأننا نمود أنفسنا كثيرا الاعجاب بالجمال ، مع أن
في هذا الاعجاب لذة كبيرة الا أن الناس ان تلسوا اللذة لم يريدوا
أن يذهبوا بعيدا بل أرادوا أن يضعوا أيديهم فيروها في قبضتهم
فهم يتخطون الاعجاب دائما ، ولهذا كانت حياة اللذة البارزة
مؤثرة في النفوس ومن اجل هذا فنظر شروق الشمس او
غروبها ومنظر الازهار والوانها وتنسيقها ومنظر القمر مترنبا
الذال مستعينا بحاشية من النجوم لاثير من الكثيرين التفتان
كثيرا واعجابا عظيما ، مع انه يحب ان تثير ويحب ان يهتوا
بها اهتماما كبيرا فانما قد وضعت في اجل وضع لتسرم وتبهج
توسم وتلا انظارهم

وبعد فقد انقض كمال رفته ثم تناول طعام الافطار ثم
نفضا ليريا منظر القدوم على جبال لبنان البديعة

يرى القادم على بيروت وقد قارب ميناءها والمركب يمر به
ويعرض عليه قرى لبنان منظره من أبدع ما نسقته يد الطبيعة ،

يرى جبال لبنان وقد اتكأ صغيرها على كبيرها فبدا من ذلك
منظر عطف جميل ثم يرى الضباب منعقدا في الصباح حول
رءوسها كأنها تحاول أن تحفظها من حرارة الشمس فلا يكون من
الشمس في سلطانها وجلالها إلا أن تنظر إليه نظرة شذراء
تجدوه من الوجود فتبين للناظر الجبال وقد كاثرت جبينها
الأشجار وكثرت جسمها الزروع بكساء سندسي جميل : ثم
رى السحاب يملوها وكأنها كل جبل قد علاه من السحاب مظلة
ثم يرى المنازل منتشرة هنا وهناك في سفوح هذه الجبال وعلي
سطوحها ولم يتبين له منها إلا رءوسها الحمراء فيخالها مجموعات
من الزهور الحمراء في وسط الزروع الخضراء، وكلما قرب المركب
المياه برزت المنازل شيئا فشيئا من بين الجبال كأنها نهضت لتحية
القادمين، وهكذا حتى يصل الناظر إلى بيروت وقد سباه هذا
المنظر البديع

رأى كمال هذا المنظر فملك عليه نفسه وأعجب به إعجابا
كبيراً ورأى في نفسه أن في العالم أموراً كثيرة تستحق الإعجاب

ومثل كمال اذ رأى ذلك كان له تأثير حسن في نفسه ، رأى ذلك
فقدرد حق تقديره حتى أخذته المنظر عن نفسه فلم يفكر
الا فيه حتى نزلا بيروت وقصدا الفندق . ولقد اعجبه من آل
بيروت هدوء اخلاقهم وسكون طبعهم وء ايتهم بالغرباء

ثم قضيا فيها عدة ايام وانتهما الى الاهتداء الى القرية التي
يحسن بهما المقام فيهما من رجال لبنان ذلك انهما ارادا ان يقصدا
بلدة هادئة تمام الهدوء قد حبتها الطبيعة بجو جميل ومنظر
جميل وفوم لطيفي الاخلاق ، فقصداها واعتزها المقام بها
وهنا بدأت حياة جميلة لكل

قدما الى هذه القرية واستقر بهما المقام في منزل مشرف
على الجبل يري الماظر منه منازل المدينة وقد انتشرت على سفح
الجبل والاشجار من حولها كأنها قامت لتجرسها والارض قد
ازينت بثوبها الاخضر الجليل كأنها تسبق لضيوفها من الصغار
جلس كمال وحده يتأمل هذا المنظر البديع فرأى ان

الطبيعة تلبس اجل ثيابها وتتجلى باجل حليها وتتطر باعطر
روائحها ومع هذا فلما تدجب بني آدم وتطربهم فوجد خطا ان يقم
الانسان على الحياة ، فن شاء قلبه تم الى وجهه من وجوهها اخلا
الانسان فهمه او تدبيره او الانتفاع به ، هذا يجب ان يكون اما ما
سواه فمراء وكأنا عز عليه ان يكون تفكيره الاول هراء
فقال في نفسه ولست اكني لم اربد اخلاق هؤلاء القوم فلمعلم ليسوا
في جمال بلادم وعذوبتها ولكن هذا بعيد فلا يمكن ان يعيش
بين هذه المناظر وهذا التنسيق البديع فوم مضطربو الاخلاق
فاقل ما يمكن ان يرى لديهم الاتظام في كل شيء والاتظام اذا
شمل اناسا شمل اخلاقه وطبائه وأعماله وكان هذا الانسان
جميلا في كل ظاهرة من ظواهره ثم تذكر كمال مصر وتأثير
جوها الجميل في خالق شعب وديع مسلم ثم تذكر ان كل خلق
منحرف تثر عليه في نواحي مصر خلق شاذ لم تنبته أرضها ولم يلد
تاريخها وأن خيل الي البعض ان خلائق المصريين قابلة للتبدل
السريع فما نزار الا الى الاخلاق الشاذة أما الاخلاق التي كونتها
الطبيعة فهي ثابتة ثبوت مصر في الوجود ، فوداعة المصري

وسهولة طبعه وكرم نفسه لا ينكرها منكر ولا يمدو عليها عا د و كل
 ما سوى ذلك فعارض يمكن محوه ولا بد أن المستقبل . ثبت ذلك
 ثم استيقظ كمال مما هو مناسب فيه من أفكاره . بندهاء
 صديقه اليه أن يرى نظام المنزل وما حوى قهض ورأى
 ماسره ، أجل أن نظام المنزل اللبثاني على بساطته يدل على أن
 تنسيق الطبيعة قد علمهم التنسيق فانت لا ترى في منزل من
 منازل لبنان صفر أو كبر ، سواء كان منزل مثرين أو مملقين الاتمام
 النظام واستكمال المعدة . فأعجب كمال بذلك ورأى من ارباب
 المنزل تمهيداً لكل شأن من شئونه هو ورفيقه فزاد اعجاباً
 بهم وبكرم طباعهم

ثم خرج كمال ورفيقه ليتبينان نظام القرية ويتعرفا اخلاق أهلها
 وليعلمها مالا يملكان من امرها ، ثم عادا في المساء واستقرا على
 أن يقوموا بمثل هذه الرياضة اصيل كل يوم اما كمال فقد اقر
 في نفسه ان يتريض في صباح كل يوم بين هذه الربوع الجميلة
 ويستقر في مكان يتخذة مستظلاله

واستمر بهما هذا النظام

بعد أن أقام كمال أسبوعا بين ربوع لبنان استطاع أن يحكم على أهل قرية ويستدل بها على كثير من أخلاق سواها ، ولقد رأى أخلاقا بارزة بها الا يخطئها النظار ، فهناك أربعة خصال ثابتة لا يحددها أكبر الجاحدين ، نأفة أهلها حتى تتكاد تدنسك منهم بعد يوم تقيمه بينهم ودمائة أخلاقهم ، تلك المائة التي يتشعبها الاخلاقيون في كل مكان ولا يكادون يرونها ورضاؤهم بالعيش نعم أو خشن فليس فيهم ناغم ولا مضطرب في حياته واتحاد قلوبهم حتى لا تكاد ترى بينهم ما يسمي بالحقد والشقاق والنزاع فهذا مالا يكادون يعرفونه ، ولهذا فهم آمنون مطمئنون في بلادهم الآمنة المطمئنة

تلك هي الاخلاق البارزة التي شاهدها كمال في تلك القرية فان جمعنا إليها الحياة الطبيعية التي يحيونها ، أجل تلك الحياة المطمئنة الهادئة الراضية التي لا يشوبها مله ولا سواها حكمنا بانهم قوم سعداء واجبهن أن يحتفظوا بما لديهم وألا يجملوا الحياة المدنية سبيلا إليهم ، تلك التي كاد المصطفون

يدفعونهم إليها

تلك أخلاق مشتركة بين رجان القرية ونسائها أما
الأخلاق الممتازة بها رجالهم فليكن الطبع وحب المنزل والقيام
على حاجته خير قيام وتهوين الأمور لدرجة قدر يسير فيها البعض
ضعفا أو استكانة والعمل الراديء المطمئن

أما المرأة فمارقة حق منزلها خير معرفة قائمة على
شؤونها قياما حسنا، عارفة حق زوجها وآلها، رعية بيتها رعية
راقية وان تكن أسرتها مملقة متاخرة، مائة الحجاب بينها وبين
آل قريتها حتي ليمر الرجل منهم بمنزل الآخر اجبي كل
أفراده أو يحالهم في غير ما نظرة، منحرفة أو غرض سوء.

والمرأة في تلك القرية محتفظة بعفتها كل الاحتفاظ والفتاة
تجعل ان تلقي بنظرها الي غريب بل انهم يعدون ذلك حطة
فالمرأة لا بهم مخطئة بالرجل في جامعة واحدة، الفضيلة مختلطة بالجميع
ولم ير كمال من مثاليهم الا السذاجة ان عدت السذاجة
عند قوم مثلية والاهو بينهم لكل شيء ان عد ذلك عيبا والا
ضعف تعليمهم وبقاهم لا يتقدمون ولا يتأخرون كأنما ارتضوا

• فقدمهم من الوجود وكفي ، والاخو لهم عن المدينة والرقى
ولهل هذا عند قوم مثلية

وذلك • اراه كمال من اخلاق القرية وذلك ما انجب به
وكان له فيه مجال رحب للتفكير

اتخذها كمال عادة ان يذهب في صباح كل يوم في رياضة
صغيرة فبسير متنقلا بين الكروم الجميلة تارة وبين اشجار التوت
واشجار الصنوبر تارة اخرى حتي يستقر به المقام عند شجرة
منعزلة منحرفة عن الطريق مدلاة الفروع مشتبكتها ، قد تكون
منها مستظل جميل يرى كمال به راحة بعد عناء المسير ان كان
في مثل هذا المسير عناء ويرى ان هذا المستظل يوصله الى • روج
التفكير الهادي ، لأنه لا حاجة به الا الي هذا التفكير ، اجل هذا
التفكير الذي سيقنه ان على المرء واجبا في الحياة يحتمه عليه
مجرد وجوده فيها فاذا دخل الانسان ساحة الحياة لم يعد له
حرية الخروج منها الا اذا انتهت معرفتها وإلا أصبحت فوضى
لانظام لها ودار هزل لا دار جد ، ان غريزيا في الانسان ان

يتشبهت بحياته وإذا فان طبيعة تريد كل أمرىء ان يتشبهت بحياته
لان الغزيرة جزء من الطبيعة والطبيعة لا تريد إلا نظام العالم
وإذا فلا يتم هذا النظام إلا بالتشبهت بالحياة وكل من سوى ذلك
فهو شاذ وكل من سواه أفكاره مضطربة لا تهدي الى شيء

هذا ما يوصل اليه التفكير الهادى . . اجل وسيدلم كمال
ان الصغير يسر عليه ان يفهم الكبير حتى اننا لنقف كثيراً
مشدوهين أمام عقلية عظيم من العظماء وأمام أعماله الخارقة
العجيبة . ذلك لأن دائرة عقولنا اضيق من دائرة عقله فكما
دورنا حول دائرة عقولنا لا نستطيع ان نأتي الى نقطة نتصل
فيها بدائرة عقله فاذا كنا لا نستطيع ان نفهم أعمال انسان مثلاً
لضيق عقولنا فهل نستطيع ان نفهم أعمال القوة الالهية العظيمة

هذا ما يفهمه التفكير الهادى . ولكن كمالاً لم يصل بعد الى
هذه النتيجة وكل ما وصل اليه اعتدال افكاره ببعض الشيء
فاصبح يهزأ بفكرة أن لا قيمة لحياته بل اصبح يقدرها ويعتقد
ان كل انسان فى الحياة قوة . وان كل انسان يستطيع أن يعمل

عمالها تالا في العالم ولم يسؤه من أخلاق هذه القرية إلا ضيق عملها حتى أن أحدهم ليكاد يكون خلواً من العمل منتظراً ما تنتج الأرض التي تسقيها الأمطار دون عناء ولا مشقة . أو منتظراً ما ينتج المنزل والنشيط العامل منهم مشغول بتجارة ضئيلة لا تعدى قريته والحياة في منتهى السذاجة وبمدها لا تفكير ولا سواه ، وهذا مالا يلذ لكمال لأنه يريد من الفكر الانساني أن يكون قوة عاملة منتجة لإنتاجا يتفق مع قيمة الانسانية والعاقبة لأنه ليس النرض أن نمش وإنما أن نمش عيشة طيبة ذات أثر كبير ، أما مجرد الحياة فالقيمة لها لا لنا يمكن أن نؤديها بأقل مجهود ،

إذا فسذاجة هؤلاء القوم وركود تفكيرهم لم يرق كمالا وقاده إلى هذه الفكرة التي أكبرها حياته بعدما كان يصغرها ، وهذه خطوة كبيرة لأنه إذا أكبرها تثبت بها وهذا هو كل شيء ، إذا فهذه نتيجة جميلة وإن لم تكن حاسمة

كان لجمال المناظر الطبيعية التي يشرف عليها كمال تأثير

في نفسه فإنه تذكر أن هذه النباتات جميعها وهذه الاشجار
الجميلة والزهور البهيجة لا يمكن أن تكون عالما مستقلا نميا لثمرت
وانما قد خلقت اسواها وليس جذرا بأن يكون سواها الا
الانسان فهي انما خلقت ليتذ بها ويتغذى وليتأثر تأثرا
عميقا بجمالها ورونتها، لأنه لا يمكن أن يكون كل
الغرض منها التغذى بأثمارها لأن هناك أشجارا وأزهارا
لا تغذى منها الا النفس فلا تتماش وبالاطمئنان اليها، اذا فكمال
يعتقد أن كل منظر تقم عليه العين لا بد له من تأثير في النفس
ويختلف التأثير باختلاف رقة النفوس وجمودها، واذا نظرنا
وجدنا أن نفسا كنفس كمال لا بد أنها قد تأثرت تأثرا جديلا
بهذا الجمال وأصبحت تقدره أكثر من سابق عهدها وهذه خطوة
كبيرة في حياة كمال لأنه سيؤخذ بهذا الجمال وسيوجه اليه فكره
وأشواق الجمال كثيرة ولا بد أنه سيوجه الى تمسكها أو تمسك شيء
منها والتولع به، اذا فكمال قدمه لا نه يولع بشيء من الجمال واذا
أصبح كمال كذلك فهذه خطوة رائقة لأنه اذا ولع بشيء مولعا عظيما
فقد ألهاه هذا الهاء . كبيرا عن تفكيره الأول، ذلك

التفكير العقيم الذى لا يوصل الى شيء مهما كان دقيقا اذا اُلهمى عنه فهذا كل ما يمتنى لكمال، فلننظر أى نوع من الجمال سيولم به

— ٤٢ —

كان كمال جالسا فى خيمته الصغيرة اذا صاح أن نسميها كذلك وكان يفكر فى هدوء وسكينة فيما حوله من الجمال اذاهو بفتاة قرؤية قد مرت أمامه منسربة فى طريقها لا تنظر يمينا ولا شمالا وفى يدها سلة صغيرة لا بد أن ستأتى بشيء فيها ثم تكرر راجعة مرت الفتاة أمام كمال فلم يفكر فى شخصها وإنما فى جمال الفتيات عامة وفيما يسمع وبقراءة عن تأثير جمالهن وآيات سحرهن ثم ساءل نفسه: هل لنا أن ننظر نظراً بريئاً اليهن كما ننظر الى منظر جميل آخر أم ليس لنا ذلك فرأى أن النظرة إن تكن مؤلمة للفتاة فيجب الإقلاع عنها لأنها يجب أن تكون راضية مطمئنة اليها ثم نظر نظرة أبعد فقال وأى فتاة لا تحب أن يعجب بها الناظرون، إن أكبر هم للفتاة أن يطرئها كل انسان كائن من كان لأن هذه غريزة فى نفسها ولأنها ما خلقت وجلت الا لكي تقع من نفس انسان أو سواء اذن فالنظرة البريئة ليس فيها

من سوء ولكن من يتأمل لنا أن تكون النظرة بريئة وألا تعتداه:
إلى العيب السكلامي أو سواء مما يضيع معنى الإعجاب بالجمال
ومما لا يتفق وإياه لأن جمال الزهرة أن تنظر إليها أو تشتمها:
فحسب فإذا تجرأت على العيب بها لا تلبث أن تنحدر في يدك
أو بين أصابعك لوقتها وإذا كنا لا نستطيع أن نضع حدًا للنظرة
فلا يمكن أن تحلبها النفس الحساسة وإذا فخطأ مني أن تأملت
هذه الفتاة عند قدومها ولا مني لأن أناملها في عودتها
حتى لأكلم عاطفتها والفتاة القروية بمنجلها النظر إليها
ثم اقتنع كمال بذلك ونهض فعاد إلى منزله

عاد كمال إلى منزله مطمئنا إلى ما يجنيه من رياضة الصباح.
وشعر أن الجسم ضيف للمرء وواجه أن يكرمه ثم شعر أن
النفس والجسم شريكان أن يسعى الإنسان إلى راحة أحدهما مهملًا
الآخر احتج هذا على هذه الإهانة فاضطربت النفس أو اعتل
الجسم ثم ذكر أن الجسم وديعة لدى الإنسان وأن لا يعيب
به ثم ذكر أنه أكثر من وديعة وأنه يجب رياضته وتربيته وتلذذه

ليقوم لنا بحجة كبيرة وليؤدي واجبه تمام الاداء والا اضرب
عن عمله أو أدء فتوروه لل ثم شعر كمال أنه كان مقصرا من قبل
كل التقصير في مرصحته ونمل هذا وسبب محنته، ثم استوقفته
هذه الكلمة لأنه كبر نفسه عن ان يكون شيء من ذلك سر
اضطرابه ثم سأل نفسه إذا ما كان سر اضطرابي؟ فلم يجد سراً
فكاد ينزعج لولا ان اتفذه وصوله في عودته الى منزله ومقابلته
رفيقه وجالوسه اليه كالمتمحض به من هذه الافكار السوداء

قال الرفيق لعمل رياضة الصباح جميلة قال كمال جميلة
و. ومنعشه قال وذهاب القرويين الى حقولهم بديع قال أجل بديع
ثم سهم ... ذات لأنه ذكر مرور الفتاة القروية وما ذكر بها الا
كلمة رفيقه فنهض من مكانه ليراوغ تفكيره واضطرابه وكأنما
شعر ان لديه حاجة للرجوع الى نفسه

نهض كمال فجلس وحده ثم تذكر الفتاة فقال وما شأني
بها فلم يجد شأنا فاقنع نفسه بقوة عزمه واطمان

خرجا للرياضة في اصيل هذا اليوم كشأنهما وكانت تمر

بها أسراب القتيات الذاهبات في رياضتهن فكان عجيبا من كمال
أن يتفقد وجود الفتاة بينهم دون أن يذكر أنه لا شأن لهما
وكلاما من سرب منهم فنظر فلم يجدها بينهم وجم كمن فقد شيئا
ثميناً ، إلا أنه أخذ يفكر في حياة الفتاة القروية فهي في منزلها
معدة قائمة بشأنها في نظام واثق ودقة وهي في الخارج مهتمة
برياضتها عارفة لحق جسمها عليها وحققا في أن تغذي نفسها من
جمال قريتها فأى فتاة تكون هذه الفتاة ثم أحس كمال أنها لا بد
رقية العاطفة لأن النساء أكثر تأثراً بالمناظر الأخاذة من سواهن
ثم قطع سيل افكاره مرور سرب من الغواني فنظر وتفقد الفتاة
دون شعور ولا مخرج فلم يرها فأدرك الأمر واستيقظ الي نفسه
فقال وما شأني بها فلم يجد شأنا فاطمان ومر سرب سواها فلم يتفقدوا
بينه فزاد اطمئناؤه لأنه قد مر نفسه مع أنه في مخرج من النظر كان
أكثر اهتماما منه بالنظر ولكنه اتفق نفسه وكفى
ثم انتهت رياضتهما وعادا

نهض كمال في الصباح وأخذ يسائل نفسه أيذهب الي رياضته

بكرًا كاذب الامس أم ينتظر ينزله ليطلع منه علي الشمس
وهي تشرق علي الجبل المشرف عليه وليرى كم يكون جميلًا
أن ينجاب الضباب منزله أمام الشمس متخذ السوتة الظلام
الذي قد انهزم أمامه من قبله ، التفت كمال لنفسه وقال لو
ذهبت بكر المرت أمي الفتاة الغروية كما كان شأنها بالامس ولو
تأخرت لما شاهدتها ثم عاد إلي نفسه صائحًا بزمه . فتغيا به
مسائل مرة أخرى . ما شأن هذه الفتاة به وما اهتمامه بأمرها
فلم يجد شيئًا ناولادانية ، فرأى من العزم أن يذهب بكرًا فان مرت
الفتاة فها هو يأخذ منها بنظرة وفي ذلك اقناع كبير لعزمه وانهمزام
للتفكير فيها

فلو قته قصد خمينه وجلس بها هادئًا لا يمر بفكره شيء
فوجب لركود ذهنه في هذا اليوم والحقيقة أنه لم يكن عليلًا
فكره ويملكه عليه الامور والفتاة وانه سيميل على ألا يهتم به
ولقد كان هازلًا بتفكيره هذا ، لان اهتمامه بالأيام اقوى أثرًا
في نفسه من أن يراها فهو كان يسخر من هذه الماطفة
الجديدة وهي كانت تسخر به ، وبينما هو في هذا إذاح الفتاة

قادمة فرد نظره الا انه قد رآها وكفى وظل مغضيا نظره
حتى مرت ولكنه في اغصانه كان يفكر في هذه البساطة القرويه
وفي هذا الجمال الهاديء الجذاب . أجل ان الفتاة كانت جذابه
لنفس كمال فحسب ولكنها عاديه لسوء لانها ليست من الجمال
على ثروة ولم ينتظر كمال طويلا بل تحامل على نفسه ووزق صفحه
تفكيره وعاد من حيث أتى

كان هذا جديد لدى كمال وكل جديد يبعث العجب أو
يدفع الاضطراب وكذلك كان شأن كمال فقد كان يعجب
ويضطرب لتذكره شأن هذه الفتاة وله أن يفعل
والنفس الانسانية عجيبه في شؤونها وتطوراتها وكما
انقلبت من مرحلة الى سواها من مراحل الحياة كان لها آمال
جديدة وشعور جديد دون أن تعرف ما في ذلك أو تنتبه اليه
انتباهها كبيرا ، وكان كمال الآن في مرحلة الطموح والشباب
بطبيعته ، يحب الجمال ويعجبه به ولكن المحنة التي مرت بكمال
والانضاج السريع لفكرته والمناظر الجميلة التي مرت به وتفكيره

فيها وفي سواها من ألوان الإبداع والجمال كان داعية لأن يرجي
به في ساحة الطموح

والكن هل كان كمال يفكر في أن يكون له شأن مع فتاة مثل
هذه أو كان يطمح إلى الركون إلى شيء من ذلك ، لافانه لم يفكر
في هذا حتى الساعة ولم يقدره . والنفس لا تتبدل دفعة واحدة بل
إنه ليؤخذ بها في الحياة من مرحلة إلى مرحلة في هدوء وسكون
وهي ساهرة صامتة حتى نجد نفسها في منزلة جديدة فتعجب
ثم لا تلبث أن تنقاد للواقع وتأنس لما أدرها .

وكذلك نزل كمال بساحة جديدة لا عهد له بها ولا بد أن
يكيف نفسه بكيف يلائمها وكال قادر على ذلك ولكنه ليس
يسيرا أن تلبس نفسه حالة كهذه فلتنظر هل يقودها أم تقوده
أم ما يكون شأنه معها

لم يشأ كمال أن يقصد خيلته في اليوم التالي لانه ارتاب
في قوة عزيمته بل ارتاب في نفسه فاراد أن يصنع ما هو أقوى
فلم يذهب إلى خيلته وكان قاسيا على نفسه ظالما لها ، فلما استيقظ

رفيقه سأله . ألم يذهب في رياضته فحالك لذلك عذراً ، فلما انتهى
 من شئون الصباح جلس وحده في حجرته واجمأ ثم فكر في
 هذا الشأن الذي اضطره لأن يحول عذراً لصديقه الذي منعه عن
 رياضته فعجب لشأنه ، فليس من الجميل أن يختلق المرء وائس من
 الجميل مطلقاً أن يأتي ذلك انسان له نفس كنفس كمال وأن
 اختلق الناس فلم يفكروا بعد اختلاقهم فان كما لا يستألم لاختلاقه
 كل الالم وكذلك تألم وأخذ يبحث عن داعية ذلك ، فمر بفكره
 شأن الفتاة القروية فاهمله بالرغم عنه وجلس مكتئباً طول يومه
 لا يهتدي لما هو فيه الي سر وكان يري في الا كتاب احتجاجاً
 على نفسه وتصغيراً لها

وكان بين فترة وأخرى يذكر الفتاة ويكاد يترسل
 في ذكر محاسنها وما تركته في نفسه من أثر فلا يلبث أن
 يمتد على نفسه لاهتمامه بهذا الشأن ولعنائه بأمر فتاة
 لا علاقة لها به ، ولا رابطة تربطها ، ثم يذود هذه الفكرة
 بعيداً فلا تلبث أن تعاوده

ظل كذلك مدى يومه يهز أنارة بنفسه ويفضرب تارة

من عبثها ويهاودها تارة في تفكيرها حتى ائتم أن يعاود
شأنه الاول من رياضته وليكن ما يمكن أن يكون؟

ثم هبت عليه فكرة خفت من حدته فسأل نفسه «هل
يمكن أن تكون الفتاة مفكرة في أمره أم هو وحده الذي يشغله
أمرها وكيف يمكن أن يعلم ذلك» فلم يجد وسيلة فترك
ذلك ليل والنهار ليبتدأ ثم اعتزم أن يعود سيرته الاولى أين
طبعاً مما كان وأُرفق بنفسه؟

كانت ايها فتاة قروية علي خلق قويم وكانت علي شيء
قليل من الجمال الا انها كانت براءة العينين ساهمة المنظر ذات
وجه هادىء صامت يخال الناظر أن خلفه سداً أوهما وكانت
تميل الي العزلة ولا تخرج من منزلها إلا في الصباح قاصدة حقلها
والسلة في يمينها لتأتي بشيء من الفاكهة أو سواها ثم تكرر راجعة
وهي لا تعرف رياضة الاصيل ولا تختلط بفتيات الحي ولا هم لها في
شيء من ذلك، وكانت راضية عن حياتها وهدوئها مستعدة لليالئ
وكانت من قبل تذهب الي مدرسة تقصدها صغيرات القرية

فعلت بعض الشيء ثم هجرت الدراسة إلا أن تفكيرها كان
سائقا فتخذت من أفكارها وأعمالها رفيقات لها في حياتها الساذجة
كانما كانت تحسب دوز أن تستطيع التمييز أن هذه الحياة طريق
يجب قطعه بأهون الوسائل مصطحبار فقاء أو مصطحبا نفسك،
وخبرك أن تصطحب نفسك وحدها حتى لا يزعجك مزعج
في طريقك

كان ذلك شأن إيفا وكانت تمر في طريقها قدما فلا تلقي
بنظرتها يمينا ولا شمالا كأنها من عالم غير هذا أو كان شأن هذه
الحياة وهذا الناس لا يهمها وماذا يهم الإنسان من شأن الناس؟
لا شيء؟ انما هي عادة جبل الناس عليها أن يهتم كل بحادث
الآخر وما يمين له، وهذا تدخل معيب كما كانت تراه إيفا أو كما
تمودت سواء وذات عليه، أجل إيفا التي كانت لم تتجاوز
السادسة عشرة من عمرها إلا أنها ناضجة الفكر بقدر ما يكن
أن ينضج فكر فتاة مثلها تحيا حياة ساذجة كحياتها

كان ذلك شأن إيفا فلما مرت بكامل نظراته فاذا هو قتي
غريب عن هذه المحلة إلا أنها فكرت في جلسته وحده هكذا قبل

هو محب للعزلة والركون إلى نفسه وكانما لحظت ان هناك اتفاقا بين أخلاقها وأخلاقه ولم تستطع أن تمنع نفسها عن التفكير مع خجلها أمام نفسها من الاستطراذ فيه إلا أنها ساءلت نفسها عن إغضائه كمال إذ رآها فهل كان ذلك أدبا وحياء أم هناك داعية أخرى، ثم اكتأبت أيضا المسكينة لأنها ذكرت ان كمالا ربما كان مغضيا لفقرها في الجمال وفي ذلك هم كبير لا مثالا لان ثروة الفتاة أن تقع من النفوس وقعا جميلا، والفتاة لا تقدر ما فيها من جاذبية لسواها الا بذلك، إلا أن أيضا سرعان ما عادت إلى نفسها فهدأتها وطمأنتها بأن هذا فتى غريب ولا بد انه ينظر إلى الجمال كمثل من امثال البلد الذي انبته، ثم عادت إلى نفسها مرة أخرى ومحت كل هذا وأقرت في نفسها أنه أغضى حياء وأدبا وأنه فتى يستحق الإعجاب وكفى ثم أقنعت نفسها بذلك وبذلك وحده. وكذلك الفتيات الساذجات تهون الامر على نفسها وكذلك شأن العقول الهادئة جميعا فاذا احتمل الامر احتمالين احدهما يطرب النفس وثانيهما يزعجها فليس عندها الا اختيار ما يطرب وكذلك عادت أيضا إلى نفسها مقتنعة بذلك وكفى

مرت إيفا في اليوم التالي وقد تنفب كمال فأهمها تنفببب ولم
تفكر لماذا أهمها ذلك ولا ما شأنها أو شأن هذا الفتى لأنها هكذا
تنقاد للواقع فتفكرها يقودها الى شأن فلتسر معه ولا ترجع
نفسها فليس في الحياة أمر يستحق أن يزعب المرء نفسه من أجله
فلم مرت ولم نجد كمالا سارت الى حقلها منحرفة الحال مؤملة
أن تراد في عودتها فعاذت ولم تجده تأملت حقا وخشيت الامر
لأنه ربما انقطع أملها في عودته الى هذا المكان بل لعله هجر
القرية جميعا فاهتمت إيفا وعادت الى منزلها كأنها فقدت ثمنها
ولم يظب لها فقام في هذا اليوم ولم يهدأ لها مضجع في ليله وكانت
منسربة في التفكير دون أن تسأل نفسها لم تفكر وكانت هذه
حالة جديدة لا عهد لها بها ولكنها لم تستوقفها
لحظة ولم تطاردها ساعة فأقامت يومها مفكرة وليها مؤرقة
حتى كان الصباح فأملت فيه خيرا ثم نهضت فنظرت الى افق
هذا اليوم الجديد نظرة استعطاف رقيق لم تلبث أن أستر جعتها
ثم حملت سلتها وسارت مبكرة

لله انت يا ايها - أنت طيبة القلب كريمة النفس هادئة التفكير
 زهرة في أرض هذا العالم المليئة بالاشواك فان كانت الطبيعة
 قد أخذت شيئاً من جمالك فقد أعطتك كثيراً من جمال النفس
 والطبيعة عادة تأخذ من جانب لتعطي من جانب آخر فتمنع
 الفقير المال وتعطيهِ القناعة وتعطي الغني المال وبجانبه الطمع أو
 سواء حتى يكون دائماً مفتقراً، هذا نظام عدل يا ايها وكفاك
 انك جذابة فنظرك السامع الهادي قد وهبك جمالا وان في
 عينيك البراقتين اسعرا وان كان لا يفهمه الكثيرون . اجل
 ان الفتي العادي لا يقدر ما فيك من جمال ولكن في مثل
 كمال يستطيع تقديره ، فأنت جذابة وتريدين من يبهجك
 باعجابه بك إن كان ذلك كل ما تريدينه يا ايها وكان ذلك جديداً في
 حياتك فاطربي نفساً فقد أعجب بك كمال وإهمه أمرك، وشغله
 هدوء نفسك الذي أسبغ كساءه رقيق علي وجهك ومثل كمال ذو
 نفس حساسة لا يخطئها التفكير في أمر كهذا .

إن الفتاة ترى وكأنها العوبة طروبة فلم كانت ايضاً هادئة

ساهمة . إن الفتاة لتجذب بأنواع . من الجمال اتفق الناس على
تفضيلها فلم كانت إيفا جذابة بدونها ، هذا ما يريد كمال التفكير
فيه ولكنه يمنع نفسه قهرا لانه يظن أن شأن هذه الفتاة لا يعنيه ،
فلننظر ما يكون من شأن إيفا وكمال :

كان كمال فتى ممتلئ الجسم قصير القامة إلا أن شكله يدفع
من يراه إلى احترامه وإلى تقدير ذلك الرأس الكبير الذي
يعلمو كنهه لان نظراته قوية ومعالم وجهه . منسقة منتظمة وقد
ضمت شفتاه ضمة عزم شديد واجتمعت من أركان وجهه
هيئة رزاة لأبأس بها ونزلت به هذه المحنة فلم تصنع به شيئا
اكثر من أن كست وجهه ثوب ثم رقيق وكلمها انجابت عنه
الافكار رق هذا الثوب حتى لا يكاد يراه "ناظر إلا ساعة ثوران
كمال أو غضبه

ولم يكن كمال وسيعا ولادمية وإنما من رآه حكم بأنه كان
كراما . كريم السجايا وكريم النفس فما رآته إيفا وقع من نفسها
لان مجموعة هيئته تقع من نفس فتاة مثاها وكفى ولا يستطيع المرء

إن يرسمه . او جدته . فيه . من ملامح . لأن هذا جل عن . ان
يرسم . ولا تستطيع . ان تقول اني احب هذه الزهرة لأنها حمراء
أو زرقاء . او ذات عير لأنك تجعلها نافذة حقا . وانما تقول أميل اليها
لأنها وقعت . من نفس فتكون بذلك . معطيا لها . تستحق من تدبير
أما لأنها فكانت . متدله القامة أو نحيفتها . متدله الطول قد
رسم جسمها بانتظام . إلا أن وجهها لا يتفق . وقواعد الجمال . إن
كان للجمال قواعد . وجسمها النحيف لا يلائم العيون واسكنها في
كليتها جذابة مثل كمال ولا نسجها من أجل عينيها البراقين ووجهها
المهادى . ولا نستطيع أن نقول إلا أنها جذابة لنفس كمال لأنها
وقعت في نفس كمال وكفى ، إلا أن موقف كل منهما من الدزلة
وهو وقف كل منهما من هموم الحياة قد أعطى . الليل بداً وقوة
دون أن يدريا

حاتت ايضاً سلتها وسارت . بكوة لحقلها ولم يكن فكرها
متشغلاً إلا . بكل وهلى لها أن تجده في مكانه أم لا . ولم تكن
تسأل نفسها عما تفعل لأن وجدته . لأن من طبعها ألا تربك

نفسها وأن تهون الأمور وأن تترك العضلات تنحل عقدتها
بنفسها. فلما وصلت إلى الخيمة الصغيرة نظرت فلم تجده فابتأس
حقاً، وحسن لديها فيلها إليه أن تجلس مكان جلوسه قليلاً، ولا
نستطيع أن نجزم بأن جلوسها كان طلباً للراحة من عناء الطريق
أو أنها قدرت لذة في الجلوس بمكان كان جائساً به فتى مالت
إليه، وقد أصبح الآن متعباً وأملها لآثره بعد لأن هذا ثاني
يوم هجر فيه خيمته

جاست كذلك في خيمة كمال واسترسلت في التفكير
فيما يمكن أن تسترسل فيه فتاة في مثل شأنها وموقفها. وفي تفكيرها
هذا وفي كمال خيمته فلما قارب إيفا تبعت إليه فقامت خجلة
وحيته نحية مختصرة وأقلعت في سبيلها ولم يخف على كمال ما كان
في تحيتها من ابتسامة جميلة وانحناء رأس لطيفة وكان لذلك أثر
كبير في نفسه فظل يرقب عودتها وما كان عهدنا به كذلك بل
نقد كان يقاوم ذلك من قبل أما الآن فقد ترك الأمور تسير
نفسها لأنه عاجز عن تسيرها أما إيفا فقد ذهبت مغتبطة إذ
رأته وإذحيته وإذناً كدت أن تعلم يرحل وكان ذلك كبراً على قلبها

فظلت مفتبطة طول طريقها وعادت مسرعة حتى لقد كانت
تحدث نفسها أن تعود قبل انتهاء طريقها ولكنهارأت ألا تدعوه
ليفهم اندفاعها اليه فلا أت سلتها وعادت وفي عودتها حيتها بابتسامة
جميلة وضع فيها معنى الالفة فطار لها قلبه وأحس يشعور لذة
من هذه الابتسامة لم يشعر به من ابتسامة أحد من قبل حتى
ولا ابتسامة الدهر وكان نفسه همت بأن تدعوها للجلوس
فخجل وراجعها إلا أنه علم أن ذلك ليس مستحيلا فاطمان
وهنا نرى كالأقدانساق في الامر وترك زمام قلبه ،
وبعد قليل نهض فعاد إلى منزله مفتبطا تارة وجزءا تارة أخرى .
مفتبطا بما كان وجزعا مما يمكن أن يكون فقد تبدل طريقها
وقد تنقطع عن روحها وقد لا تكون قد شعرت بشي
نحوه . وقد يكون خادعا نفسه . ولكنه يعود فيتذكر ابتسامتها
فتقنه كل الاقتناع

ولم يفكر كمال في يومه تفكيره الاول ولم
يسأل نفسه لم يهتم بهذه الفتاة وانما كانت كل أمنيتها أن يراها
في المد وكفي وكل شأنه أنه طرب بهذه الابتسامة وكفي .

أنه يحس أنه نال شيئاً ثميناً ، وهل أتمن مما لم يكن منتظراً
 أما إذا فقد عادت اليه نزلها شاكرة هذا الهاتف الذي
 هبّت في أعماق نفسها أن تجلس مكان كمال فتتألم لها بذلك
 تحيته ، ثم ظلت في غبطتها طول يومها
 لفة أتما يا صغيران : اتما طيبان وفي حاجة الي شيء من
 السعادة فقد طال ما اهتمت بما فسر الله من أن يمنحكما شيئاً
 منها ؟ سئري

كان الموقف جميلاً كما تراه : فأما كمال فقد رأى نفسه في
 حال جديدة لم يستطع كبح نفسه عن طريقها فترك لها زمامه
 تفوده كيف تشاء
 وأما إذا فقد رأت نفسها خيالاً جميل إلى كمال فبات اليه
 ورأت سروراً برؤيته فتمنت رؤيته ورأت غبطة بتحيته فحيته
 ورأت بهجة أن يدوم هذا الأمر فتمنت دواؤه . مهونة كل
 أمر علي نفسها ، لا بسبب ليوسا لحالتها الجديدة وهذا كل شأنها
 هذا منظر جميل ما كنا نقدره لنكال وما كنا نقدر له أن

ينقطع به تفكيره في طريق كهذا وما كنا نقدر أن نقاد الأمر دون أن يعرف غايته وما يمكن أن يؤدي اليه والحقيقة أن الأمر قد وقع به دفعة واحدة فمذ نظر هذه الفتاة لم يستطع كبح نفسه عن التفكير فيها فإذا لقد أخذ كمال بهذا الأمر أخذاً وربما كان لسهولة المكان الذي يحيا به ولجماله مناظره ولسكونه وهدوئه تأثيراً في نفسه غلبه كيف يكون ألين طبعاً وأهون قياداً، وربما كان معترراً بعزمه علماً أن في استطاعته أن يرجع به إلى رشده أنى أراد وإن يكن هذا ظناً بعيداً وكل الأمر أنه عجز عن قيادة نفسه في هذا الأمر فتركها للزمن، وكفى، وكثيراً ما يقف تفكير الإنسان أو عزمه أو قدرته كل عن عمله حتى يتم القضاء أمراً فإذا تم دهش المرء لأنه كان في استطاعته رده أو قيادته أو خجز نفسه عن سبيله ولكن دهشه لا يجدي عليه شيئاً لانا لانب القضاء وانما هو الذي يسيرنا فان شاء وكثيراً ما يشاء - ترك لنا استخدام أفكارنا وعزائمتنا وان لم يشأ خدعنا فلم نتفجع بها وكذلك كان شأن كمال

أما أيضاً فوجدت نفسها أمام قى أعجبت به وتول من قلبها.

وحدثت أنه أعجب بها وليس قليلا هذا على فتاة مثلها عليها
دون أن تدري سئمت همها فشأت أن ينجاب عنها بمثل ذلك
ولم يذهب بعيدا فكل الامر الى الساعة ان كليهما أعجب
بالآخر فمال الى وكفي

نهض كمال مبكرا هذا اليوم بعد ان قضي ليله في نوم هادي
فان المرء ان كان مقتبط النفس منبسط القلب ساكن الفكر زارعه
النوم واطمان اليه واذا كان المرء مضطرب النفس ثائر الفكر نفر
النوم منه ولم يشأ مقارنة جفنيه كأن النوم والاسى لا يجزمان
أو كأن النوم راحة والهم عناء والضدان لا يجتمان وان يكن
المرء في مثل تلك الحالة في حاجة كبيرة الى قومة ضئيلة أو غفائة
تهزأ بهتة وتمحو منه ماتمحو ولا مكن هكذا شاء سلطان
النوم وكفي

اذا فقد نهض كمال مستريحاً فاطمان بنوم سعيد ونهوض
سعيد فارتدى ثيابه ثم أشرف على الجبل فنظر اليه نظرة هادئة
فانها يسأله الى مرجع الى مناجاتك مناجاة جميلة أم مناجاة

عقيدة، تفرح القلب وتكبد الفهم أجل لم يكن لهذه النظرة الا هذا المعنى ولكن كمالاً لم يفكر لها في معنى بل القاه اوركب ساقيه الى خيلته الجميلة أجل خيلته التي سيبلغ عليه تحت طلبها مادة جميلة او التي سيختلق فيها بقصة الائمة : فهو في موقف دقيق فلو ان هذه السادة المقدرة قد افلتت من يده لداع ما فلم يدري الفتاة ولم يدري استطاعته . عرفه شأنه بها وبأليل اليها لنالته صدمة هائلة وعادته نكسة حادة لا يفكره وهو . وصغر امامه كل شيء

فلتر هل يكون القضاء رحماً به أولاً

سار كمال مبكراً الى خيلته وجلس بها هادئاً ساكناً كن ينتظر الوحي او كان فكره في مهادة كماله . جلس كذلك وماله من انتظار الا انتظارها انتظار ايها الجذابة ، ثم بعد لاي استيقظ فكره من سباته فساءل نفسه : أتحسن لي ان ادعوها الى جلسة أم اكبر عن ذلك فلم يستطع اقناع نفسه باحد الرأيين فترك الامر وليحدث ما يمكن ان يكون

هذا جديد يا كمال وما عهدناك كذلك ولكن الحالة التي
البستها تستدعي ذلك فليكن ما استدعيه

ظل كذلك منتظرا ايضا واذا هي قادمة ومبكرة كذلك
فنظرها فبدت له كأنها أكثر حسنا وجمالا وكذلك المرء ان مال
الى شيء أخذ يزداد في نظر محسنه واخذت تنجاب عنه مثالبه
وحيثما نرى هذا الاندفاع جميلا وحيثما نراه خطرا، الا أنه
كان جميلا في شأن كمال وايضا،

فلما قاربته حيته فحياها بأحسن منها فسأته عن شأنه
كما هي عادة هؤلاء القرويين ان مرأ أحدهم بن يعرف فأجابها
كمال وعد ذلك كثيرا منها فجزؤ على أن يدعوها لتستريح من
عناء الطريق كما كانت مستريحة بالأمس قبل قدومه واتخذ
حجة لذلك أنه يظن هذه عاداتها ويظن أن في قدومه مامنها عن
ادائها، فرأت ايضا أن لا مانع من جلوسها اليه فجلست ولم تفكر
في شيء لان الطريق لا يوصل إلا الى حقلها ولا يقصده أحد
سواها والخيلة منحرفة عن الطريق فلا يراها أحد ولا تقع عليها
عين سوء، وقبل هذا فقد رأت من نفسها ميلا الى هذا فلم

تَشَأْ . مَانْدَةٌ نَفْسَهَا فَجَلَسَتْ إِلَيْهِ
وَكَانَ هَذَا ابْتِدَاءَ تَارِيخِهَا مَعًا . وَابْتِدَاءَ تَارِيخِ جَدِيدٍ فِي
حَيَاةِ كُلِّ مِنْهُمَا .

— ٥٥ —

لِلَّهِ مَا أَجَلَ الْبَسَاطَةِ وَمَا أَلَذَّهَا . لَمْ تَجْلِسْ إِيفَا إِلَى كَمَالِ صَامَتَةٍ .
خَجَلَةٌ . كَمَا يَفْعَلُ سَوَاهَا فِي مِثْلِ مَوْقِفِهَا وَلَسْكَنْهَا رَأَتْ أَنَّهَا قَدْ
جَلَسَتْ إِلَيْهِ وَلَا يَدُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَكَلِمَتُهُ لَوْتَتْهَا وَقَالَتْ : أَظْنُكَ
غَرِيبًا عَنْ هَذِهِ الْحَيَلَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَتْ فَمَنْ أَى الْبِلَادِ تَكُونُ قَالَ
مِنْ مِصْرَ قَالَتْ بِلَدٌ طَيِّبٌ وَنَحْنُ نَحِبُهُ حَبْنًا لِبِلَادِنَا وَتَتَخَذُهُ
قَبِيلَةً لَنَا نِيَمُهَا .

كَانَتْ إِيفَا تَقُولُ ذَلِكَ وَكَمَالَ يَجِيبُهَا فِي اخْتِصَارٍ وَيَعْجَبُ
لَأَمْرِهَا وَعَدَمُ تَكَلُّفِهَا شَيْئًا وَلَمْ يَدِرْ أَنَّهَا مَالَتْ إِلَيْهِ وَتَرِيدُ
أَنْ تَكَلِّمَهُ وَكَفَى

ثُمَّ قَالَتْ وَأَظْنُكَ تَعُودُ هَذِهِ الْحَيَلَةَ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ نَعَمْ قَالَتْ
وَأَنَا أَمْرُهَا كُلِّ صَبَاحٍ قَالَ إِذَا تَلَقَّيْتُ فِيهَا فَصْنَتُكِ وَعِلَاهَا طَانِعِ
الْحُجْلِ وَلَسْكَنْهَا لَمْ تَشَأْ تَسْرِحُ فَرَصَتَهَا فَقَالَتْ لَمْ . فَلَيْسَ أَحَبُّ

الي من ذلك ، ولأنه ض الآن فقد آن أن أعود
بهم حملت أسلحتها وحيته نحية جميلة وانفلتت

— ٥٦ —

عاد كمال الي منزله عاجباً من ميل ايما ، ريكاً في تحلية
وتكنيته قبل قد زاد هذا الليل حتى خطا هذه الخطوات الواسعة
في جلسة واحدة أم الامر لا ميل فيه ولا سواء وانما هي
قد رآته فتي غريباً استجاسها فجلست اليه وسألته فأجابته
هذا ما شغل فكر كمال طول يومه ودعاه لأن يسك بقلبه
ويمعنه من اندفاعه ، فان طرفة ايما كانت كبيرة لم يدر كمال سرها
فأخذ يسأل نفسه أتكون هذه سذاجة منها وتهوينا الامور
ودخولاً الي الامر من باب ؟ إن كان ذلك كذلك فقد أحسنت
ايما لأنها كفتا مؤونة المقدمات وعناءها ثم ترجع لديه هذا
الرأى إلا أنه لم يبرمه ينتظاراً ما يتخض عنه القدر
أما ايما فقد ذهبت الي منزلها بسعادة تملأ جوانحها حتى
ما كادت تتسع لها ثيابها فهي قد حادته وهي قد جالسته وهي قد
واعدهته وهذا بكل شيء .

ولم يتبدل شيء حتى الساعة في شخصية إيفافي هي الفتاة
القروية المحبة للزلة المفكرة تفكيراً سائفاً يتفق مع شؤونها
الضئيلة وحياتها المحدودة ومحيطاتها الساذجة وقد قضت يومها
ولم يمر بفكرها شيء مما مر بفكر كمال لأنها كانت مدقوقة بجملها
وسذاجتها ، والسذاجة قرينة الصراحة وكفي

— ٥٧ —

كانت . مقابلة لها الثانية جميلة رائقة وكانت أيضاً خفيفة
الروح كأنما قد دخلت عنها ثوب أساه وأعدت نفسها لتسعد
بهذه الحياة الجديدة ، أجل لقد وجدت نفسها في ساحة سعادة
لامدى لها كأنها لم تقدر أن تمنحها الحياة ذرة من غبطة فلما اتفق
لها ذلك طارت به جذلاً . فلقد ظلت . ذى حياتها هادئة النفس
خامدة لها وما هي ذى نفسها قد تارت فلم لا تنقبط ، وما هو
ذا الانس يدفع بنفسه إليها فلم لا تأنس
أما كمال فقد كانت به محنة ولعل هذا ما يحوم محنته وكان
هو قاتلاً نفسه بتفكير عقيم لالته فيه وهذا هو التفكير اللذيذ
قد واقفه فلم لا يركن إليه

كان هذا شأنهما دون ان يدريا لانهما متقادان في ميلهما
أطوع انقياد فلما جلسا هذه المرة بدأت ايها الحديث كعادتهما
فخالت لقد سمعت بمقابلة الامس قال كمال وكذلك كان شأني
ثم اندفع فقال وأنا منذر رأيتك اهمني أمرك واندفعت بنفسي
إليك قالت بعد صمته قصيرة كان الحياء يراجمها (أما أنا فقد
ملت بكلمتي اليك ، قال ولقد كنت اتفقدك في كل سرب
من الفتيات المرتاضات فسمعت ايها لانها ذكرت انها منقبضة
بنفسها عن مثل ذلك منغرفة غمن سواها فقال كمال ما بك يا ايها
قالت لاشي وفانك لتحدث عن تفقدى بين فتيات القرية وأنا
لأأميل إلا إلي عزلى ولا اركن إلا إلي نفسى ، ف وقعت هذه الكلمة
من نفس كمال وظن أن لديها ما تحاول إخفاءه وأدركت ذلك ايها
فلم تشأ أن تقض سعادة جلستهما فقالت إذا أنت تميل إلي يا كمال قال
نعم قالت وأنا لا أفكر إلا فيك قال إذا فينتاشان فم تسمينه
فصمت وكأنا أطلق الحياء فها بطلق متين فقال إذا يبتناحب فظلت
في صمتها وظل في صمته وانتضي زمن وهما هكذا تماثلان
جامدان فانقضت إيها وحلت عقدة لسانها وقالت: أيجل حب

يا كمال بكل معناه ولقد هبط علينا دفعة واحدة فلم يحتاج لتمهيد
قال وهذا أجمل الحب قالت فاعلم فيه سعادة لنا قال وهل في
الحب الا سعادة قالت لتكن ارادة الله ثم نهضت لأن مواعدها
قد آذن فقال كمال فلنتعهد حباته هذا جميعا لا يا ايها قالت ليت هذه
الله وكانا كانت شفقة على حبيبهما من خطر ثم مدت يدها اليه
فصافحته وظل ناظر اليها حتى اختفت فلبث في مكانه قليلا
ثم نهض

أجل ان في الحب سعادة يا كمال ولكن فيه ما سوى
السعادة، ولا ندري ما قدر لك فيه، ان أحدنا يشعر بغبطة
اذ يرى انسانا يصادقه ويميل اليه بكل قلبه فكيف بما هو أرقى
من المصادقة والميل ومن كل عاطفة في الحياة، أجل ان
الحب لا يترك عاطفة شريفة في النفس الا حركها بل لا يزور الا
النفس الكريمة بطبعها وكمال كريم النفس وايضا كريمتها
فليتفقا وليسعدا بحبهما وليكن بعد ذلك ما يكون
فرضة نهيات لكل منهما أن يتخلص من همه، هيأها لها

القدر وهيناً هما لها فلم يسر خانها. لاداعية لهذا، فليضرب قلب كل منهما ببقعة الحب وليلام صدره بانسراحة الحب وليتكلم بلغة الحب

ان الحياة أضن بسعاداتها من أن تعطينا اياها في كل وقت وأضن بها من أن تعطينا اياها في غير احتياج أو في غير استحراق بل انها لاتهبنا السعادة ولسكننا نحن الاولى نسمي خلقها ونطاردها. وهل كان سمي كمال طول محنته وسمي أيضا طول همها الا الى السعادة والراحة شمرنا بذلك أم لم يشعرا. فان كل نفس ممتحنة لأمل لها الا في شيء من الراحة. وهذه هي الراحة فليطب كمال ويتطب ايضا. كمال بايفا وايفا بكمال وليفعل القدر بعد ذلك ما يشاء

لقد عرفنا شأن كمال وشأن محنته من قبل فما هو شأن ايفا وما هو همها؟ أجل ان لها لشأنا هاما وهما قاسيا. نشأت ايفا في منزل راحة ونعمة بين والدحنون وأمرهموم وأخ شفيق، وكان الزمن مريثا لهم منه ما يريدون وكان الشقاء

في عزلة عنهما ، وكانت أيضا الصغيرة تختلف الى مدرستها وأخوها
الطيب يختلف الى حقله فلما نزلت النكبة بيلدهم ، تلك النكبة
التي لم تترك بلدا الا وتركت فيه أثرا ولم تدع أمة الا وتركت
لها مشكلة ولم تدع أسرة الا وحملتها هما ، تلك النكبة التي
شوهت العالم . من حيث أرادوا بها تجميله ، تلك النكبة الحربية
العالمية ، لما نزلت ببلدان الآمن وامتدت ألسنتها اليه سيق والد
أيضا الى الحرب في غير دفاع عن نفس ولا وطن ولا مبدأ .
سيق الى الحرب هذا الولد الرحيم تارك هذه الاسرة تعاني ما تعاني
من هم أليم وحرقة بائعة وشوق قاتل ، وكان الابن لا يزال صبيّا
لم ينضج . وايضا لم تنزل طفلة فقامت عليهما أمهما المدبرة قياما
حسنا واهتمت هم والدهما فوق عاتق ومهما فوق عاتق آخر
وسارت في قافلة هذا العالم تراحم مع من يراحم حتى اختطت
طريقها وطريق ابنها . وكان الدهر يضغط على ناجذيه ويكتم
لهما غيظا أليما

فلما هدا العالم وتنفس الصعداء وسكنت حرب المدافع
وقامت حرب الالسن والاقلام واستقرت الضحايا في غليائهما

ومن بينها هذا الوالد الكريم . لما كان ذلك جاءوا في ثوب
المحسنين ليؤجروا لمن أصيب في الحرب إعانة تساعده على أمره .
فهل تعلمون ما كانت أمانة أسرة اينما المسكينة . لقد كانت ضريبة
قاسمة . لقد كانت ضريبة قاسية على هذه الأسرة سودت لها
وجه الحباة فهل تعلمون . اهي .

ذهب أخو اينما أيضا المسكين الي حيث توهب الاعانة
لينال معيناً لا أسرته التي فقدت عائلها . أجل فان والده قد
ذهب ضحية من ضحايا الحرب . ذهب ضحية ثمينه لانه كان
رجلاً كريماً أربيا ذهب ضحية غالية لانه رب أسرة كريمة .
ذهب ضحية حقة لانه ما كان يدري سر هذه الحرب . فلما قدم
الابن الي حيث تعطي الاعانة كان عتداً ثائراً وكان المصابون
كثيرين وخشي وهو لا يزال صبياً ان يذهب ضحية هذه الكثرة .
فلم يطاق صبراً وتقدم الي الموزع في حدة واضطراب لم ترق لدى
هذا الضابط الموزع ، ذلك الذي ملائته الحرب قسوة وشدة
ولم تؤمله لان يقدره وقف هذا الابن من موت أبيه . فما كان
منه الا ان نهض الي هذا الصبي ومنحه ضريبة قاسية فوق ظهروه

بعضا غليظة كانت في يده فافسدت من نظام أعصاب الصبي
 ما أفسدت وخر مرغميا فحملوه الي منزله ففعل ما استطاعت
 . معالجته وما سمح المال الضئيل لاسرته فلم يجد عليه العلاج شيئا
 وفسد النصف الاسفل من جسمه فلا يحتاج به احساسا ولا
 له تحريكا فأتى في . تكا بجانب منزله لا يزال جالسا به طول
 يومه كأنه اعلان دائم بما يفعل الظلم والفدوة بالبشرية ، ولا
 يزال يراه كل . ارب هذا الطريق حتى الساعة

اذا فقد مات الوالد وارتمى الابن لا تقع فيه ولا اجدها
 وسكت الدهر عن هذه الاسرة لانه نال منها ما يشاء فسارت
 في مهب رياح هذا العالم كينما تسيرها تسير ، مضطربة حينما
 وهادئة حينما

هذه قصة ايها المسكين وهذا سرهما وانقباضها وهذه هي
 صحيفة نفسها المكتوبة وهذا . اجعلها في حاجة كبيرة الي شيء
 من السعادة بل الي . الابتسامة فلما تمها لها شيء من ذلك لم تستطع
 معاندة نفسها

فهل يسكت الدهر عنها ، سرى !

— ٦٠ —

لشدهما ينال الشقاء من هذه الاسرات البائسة التي لا تجدها
عائلا ولا حاميا من نكبات الدهر وصروفه فتضطر لان تدافع
كل شيء بايديها الرقيقة التي ما تعودت المدافعة وقلوبها المسكينة
التي لا تعرف الاحتمال وتضطر لان تحتط طريقها في ساحة
هذا العالم الشائكة باقدامها الناعمة ،

وقد نخال هذه قسوة من الدهر ولكن كل شيء في العالم
لا بد له من سر ، واثمن شرب العالم من السعادة مرة فليشرب
من الشقاء اثنتين ذلك لان في هذا نظام العالم ، ولو مليء العالم
سعادة فحسب لكان تافها واسمج . نظره ولستئمه الناس والجو
الساكن لا يكون تقوسا ولا يمت قوة وانما الجو المضطرب هو
الذي يسكون وييمث ، ولا نريد ان نقول ان العالم مضطرب
والكنا نقول دائم الحركة والمجاهدة ، أجل مجاهدة الآلام
والاسقام والشدائد والجوائح ودائم الحركة خلف السعادة التي
يطارد هافي كل آن

هذا هو نظام العالم الجميل وان حسبته العقول القصيرة اضطرابا
ولقد جهد أبناء آدم منذ خنقهم كي يملئوه سعادة وترفيهافا زادوه
إلا شقاء ومحنة

إذا فلا بد ان تكثر الضحايا في هذا العالم ومن للضحايا
كانت اسرة ايضا المسكينه - ولكن هل تظل هذه الاسرة ناعسة
مدي حياتها فلا تفكر الا في بؤسها وهمها ، لا فان النفوس
لتسام الشمس والتفكير فيه ولا تلبث أن تتحاييل على تسريحه وذوده
ثم لا يلبس أن ينحرف الى زوايا القلب فيستكن بها حتى يلججه
ملجيج فيثور ثم يعود فيهدأ وهكذا ، سنته ما لها من تبديل
اذا فاسرة ايغا قد هداهم بما بدزمن واكتفي بان دفن في القلوب
وترك كساءهم على الوجوه ليدل الرائي على ان هنا خطراً
فيجب ألا يثار

أجل اننا يجب ان نرحم هؤلاء الناعسين ونلأم جر حرمهم
ونهنون أمرها عليهم ونزيهم من غبطة الحياة ما لم يروا حتى زفه
عنهم بغض همهم

فلنر ما يصنع الدهر بايها بعد ان كانت نفسها مشغولة

لشيء من السعادة فتطوع الحب لان يسقيها كاسا منها

— ٦١ —

تركنا كما لا وقد اقتنع بان الحب متبادل بينه وبين ايها ، بل تركناه
وقلبه يفيض بالحب وهو لاه بشرابه لا يفكر فيما وراءه ولا
فيما قبله ، أجل انه الان لا يفكر الا في متعة الحب والسعادة
به وماله شأن بأفكاره الاولى وماله شأن بما يكون من عاقبة
هذا الحب

نعم يا كمال ان الحب شاغل جميل من أجلك ومن أجل
رأسك النائر على العالم وهو الذي سيدشرك ان في العالم لذة
وان في العالم سعادة فلقد نعت على لذة العالم وسعادته فوافاك
الزمن باكبر لذة لديه فهل لك بالاضامئسان يا كمال ؟ أجل
ان تقس كمال متمسكة كل التمسك بهذا الحب ولو سئلت لم
تحيا الا نلما أجابت إلا بأنها تحيا من أجل الحب ومن أجل
ايضا الخدابة

ولكن هل يفكر كمال في أنه شفي من دائه أو سائر في
سبيل ذلك ، لا فقد الهاه الحب عن شيء من ذلك ، بل أصبح

يرى نفسه في جنة لا يفكر في طريق وصوله اليها ولا يقدر أن
هناك طريقا للخروج منها لا يفكر في الاول لانه ربما كان شائكا
ولا يفكر في الثاني لانه يزعمه

فلنطمئن اذاً الى كمال فان كل نكته كامنة في محنته فاذا
انجلى أو آذنت بالانجلاء فقد نجا كمال أو كاد لان كل أمر
بعد ذلك هين. وكفى بفكر كمال هاديا في كل طريق ومرشداً
في كل خطر داهم

فلننظر ما يفعل الحب به وبأيا الجذابة . لننظر ما يفعل
بهذين الحبيبين فكل منهما شأن عجيب ا

جلست ايضا الى كمال في اليوم الثاني تحدثه حديثا رقيقا
ويحدثها حديثا عذبا وقد صفا ذهنهما واستعدبا ورد
حبهما . الا أن كمالا كان أهدأ خائرا من ايها لأن ايها كانت
تستكثر هذه الساعات على نفسها ولكنها تحسب نفسها في خيال
جميل أو حلم لذيل لانها لم تفكر فيما يكون من أمر هذا الحب .
أما كمال فلم يكن يفكر في شيء من ذلك

قالت ايها هل لك في سيرة ممي الى الحقل لنبتهج بحمال
 الطليمة قال لنحصن حينا بنحملكنا وجمالك يغنيني عن كل جمال
 وكان كمالا خشي السير في رفقتها حتي لا تقع عليها عين. وكانما
 ادركت ايضا ذلك وادركت خطره فقات اجل ازخيلتنا تصبح
 جنة مادامت ملائكة الحب تر فرف فيها فتأثرت نفس كمال
 لكلمة ايضا التي أرسلتها في هدوء وهي كلمة نائرة حقا، أما ايضا
 فقد ألفت الكلمة ثم سهوت وصمت كأنما تتاقى الوحي من
 ملائكة الحب. فقال كمال مابك يا ايضا ثم أخذ يدها فاذا نبضها
 سريع فعرف أن الكلمة قد بلغت من قلبها وأشفق عليها إشفاق
 المرء علي طفل صغير بين يديه ثم حدس أن لديها سر اتذكره
 فتجهم فقال أتخفين عني سرا يا ايضا فراوغت فكرتها وهمت بأن
 تقول شيئا فلم تستطع فردته إلي نفسها فضم كمال رأسها الصغير
 الى صدره وحنا عليها حتي هدأت قليلا ثم رأت أن ميعادها قد
 آذن فاستأذنت ونهضت

نهضت ايضا وكمال يتأملها ويعجب لما بها ويحسب أن عاديا
 سيمدو علي حبهما قريبا او بعيدا وما أكثر عادات الحب. أخذ

يفكر فيما حل بأيقاف وأهمه أمرها واختلطت في قلبه لذة الحب بهم ما حل بأيقاف كد لنفسه أنها تراوغ سر أو أن كل كلمة من كلمات الحب تثيره فأبرم أن يستكشفه . وإن استطاع فليقاومه بكل قوته وعزمه فان حائل لا يمكن أن يحول بين حب إيقاف لكل وحب كمال لا يقا .

كان يناجي نفسه بهذا ثم تحامل على نفسه ونهض مهموما

إذا فقد تبدت حال إيقاف بعد أن دخلت حظيرة الحب . إنها دخلتها مندفة لا تفكير في شيء ، مهبونة كل أمر على نفسها ، أما الآن فانه أدأت تفكير ، فاحظة قالت لكل إن ملائكة الحب ترفرف في خيالاتنا . ففكرها خاطر اليم ، مر بفكرها أن كمالا فتى غريب ولا بد من رحيله في القريب مامن ذلك بد وغدا تجلس وحدها في هذه الخيمة تناجي نفسها بها وقد خلت من ملائكة الحب وأصبحت ذكرى مؤلمة فحسب

كل ذلك مر بإيقاف المسكينة وهي ساهمة فلما وضعت رأسها على صدر كمال نمت كل شيء ولم تفكر الا في الحب الذي لانهاية

له فهدأت قليلا واطمأنت

أما كمال فقد خشي على سمادته الخضر فوقف على باب
التفكير محاذرا ولوج ساحته هائبا ما يتورده فيها من آلام ربما
كانت مبنية على الخيال فلا ينال منها شيئا إلا أن يחדش تمثال الحب
الجميل ، فلينتظر بنفسه وبفكره الى الغدا يرى ما أم ايفا

* *

أما ايفا بعد ما كان من أمرها بالألم فقد أبرمت أن
تكون أقوى احتمالا وأن تأخذ من سعادة حبها بنصيبها وألا
ترزعج كمالا بمثل ما كان من شأنها في جلستها الاخيرة اليه فان
ذلك ما يقض اطمئنانها ويتلف راحتها وسمعت أن تترك كل شيء
للقدر يفعل به ما يشاء فلا تفكر في هم نفسها وأسرتها ولا تفكر
في شأن حبها وغايتها

عاطفة قوية تلك التي يسميها البعض حبا ويسميها سواهم
سعادة ويسميها الآخرون عناء ، أجل ان هذه العاطفة قد جعلت
ايفا كالعود في يد العاصفة وما كان لنفس مثل نفس ايفا أن تقاوم

عاصفة كهذه أو تتحمل تقلباتها واضطرابها ، وإن كنا نراها ساعة مندفعة إلى الاطمئنان فتطمئن وساعة إلى التفكير فتفكر وساعة إلى الألم فتألم أماتها وينها للأمور ، ذلك الذي عرفناه عنها من قبل فقد تحول عنها لأنها مدافع ضعيف لا يستطيع أن يقف أمام هذه العاصفة القوية عاصفة الحب ، ولقد كنا نأمل أن نراها أكثر هدوءاً من ذلك ولكن هذا ما يراه النظر القصير ، لأن إيفا في يؤسها وهما وضعف حيلتها لا بد أنها ستفكر إذا اتصلت بحب مع كمال في شأن هذا الحب وقوة ثباته ومدى حياته ، أما كمال فإنه كان معتزاً بمزجه متقوياً بفكره متخوفاً من العودة إلى محنته ، فلا يفكر إلا في هذه الماطفة الجديدة التي احتلت قلبه عاطفة الحب ،

وبعد فما كان كمال يقدر أن يكون لأسرة إيفا هذا التاريخ الأليم ، بل كان يظنها في سذاجتها وانبساط نفسها في أول عهدها فتاة راقية الفكر تحيا حياة هادئة جميلة ، ولكن هكذا شاءت عاطفة الحب أن تكون دائماً عاصفة ، في كل مكان ونحت أي جو

عملت ايضا في اليوم الثاني علي أن تكون أهذا خاطرا
وأروح بالا وأخذ كمال بحادثها ثم بهم بسؤالها عن شأنها بالأمس
فيخشى علي هذه السكينة أن تنكسر وعلى هذا الهدوء
أن يضطرب .

وأخيرا لم يستطع صبرا فاستفسرها الامر فأرادت أن
تراوغه أو تختلق لها عذرا فما استطاعت ولا أطاعها ففكرها
فصمت قليلا ثم قالت « أتريد أن تعرف سر ذلك » قل بلى
« وما ينبغي من سر يحقيه أحدنا عن الآخر » قالت « لقد مر
بفكري خاطر أليم ! مر بفكري أن هذا الحب ربما يولد في هذه
الحيلة ويقبر فيها » ثم صمت كأنها أغلق قلبها بخلق ، فاضطرب
كمال لكلماتها وقال « ماذا تقولين يا ايها المستوهين حبيبا
وتستضعفينه قالت بل أستقيته واستعظمته . قال « أتعاهدني
علي الثبات فيه » قالت هذا الامر موكل اليك فقد جعلت
نفسى كره في يد الحب قال واني أعاهدك علي الثبات ما استطعت
فإن هبت عاصفة لا قبل لحبنا باحتما لها فذلك من شأن القضاء

قالت ليبارك الله حبنا ثم خشيت الاسترسال فأرادت أن تدير
 مجرى الحديث فقالت : ان هذه الخيلة أصبحت مقدسة لأن
 الحب نبت فيها وهل شيء أقدس من الحب سر الحياة
 فأثارت هذه الكلمة داء كامنا في نفس كمال
 فاضطرب فقالت ما بك يا كمال قال لاشيء ورأوخ الامر
 حتي لا يزعجها ولكنه لم يستطع أن يقود نفسه جيدا في
 الحديث ولكن الامر عمي عليها وكفي ، وقد استطاع كمال أن
 يؤجل تلك الفكرة التي عرضت له ولا بد أن يقتلها فحسافلا
 انقضت جلستهما أخذ يفكر هذا التفكير : أهذا هو سر الحياة
 الذي كنت أبحث عنه فأخطئه ، أهو الحب سر الحياة ، أجل إنه
 لماطفة كريمة يجب أن تملأ النفوس ويجب أن تجلو القلوب ،
 ولكنها لا تكفي لأن تكون سر الحياة أم ماذا يكون ؟
 أجل إنها المثل الأعلى لتبادل المحبة بين القلوب ، وعلى المحبة
 تعتمد سعادة الناس بحياتهم ، ولما كانت الحب يترأس جميع
 العلاقات بين قلب وقلب فهو إذاً سر الحياة ، قال ذلك كمال
 واتصل بهذه النتيجة فلم يقتنع اقتناعا كاملا إلا أنه أومئ نفسه

أنه مقتنع ثم نهض إلى منزله

وبينما هو في طريقه أخذ يفكر في هذا الحب الذي لا يعرفه دونهما إلا جوانب خيلتهما فلم يجتمعا خارجها ولم يترىضا معاً لأن العيون يخشى أن تقع عليهما وفي هذا ما لا يتفق والأخلاق القويمة في هذا البلد ، فكر كمال هذا التفكير ثم صادف أعجب بهذا الحب الهاديء ثم قال في نفسه « ما أكثر ما خدمتنا هذه الخيلة الجميلة ، معبد الحب »

وكان قد وصل إلى رفيقه فأخذا في حديث آخر

— ٦٦ —

لم يكن رفيق كمال يعلم شيئاً من شأنه الجديد ولو أنه علم لا غبط بأف فكر كمال قد تحول عن اتجاهه الأول وكل اتجاه آخر لا خطر فيه وكان هذا الرفيق يرى كمالاً عائداً مغتبطاً برياضته كل يوم فيسر لذلك إيماسرور فلما عاد كمال هذا اليوم وامتدح رياضته طلب إليه رفيقه أن يصطحبه في الغد فراوغ كمال الأمر لئلا أنه خشي أن تقدم إيفا فتزعج الوجودانسان آخر فحسب ولكن لأنه رأى عبثاً أن يضع لحظة

من لحظات جلوسه الى إيفا، فلما راوغ الأمر أدرك رفيقه أن هذا الوهم كمال بالعزلة والتفكير ولم يقدر أكثر من ذلك ، واطمأن لأن تفكير كمال أصبح معتدلاً وتقهأ أصبح متبهجة وأسئلته قريبة المدى

أما والدة إيفا فلم تكن تعلم من شأنها أمر إلا أنها كانت تلاحظ كلما دخلت عليها إيفا أنها ساهمة أو ذاهبة الفكر حتى لقد كانت كثيراً ما تناديهما فلا تستيقظ اليها ، فظنت الام المسكينة أن هذا عارض نما يعرض للفتبات في شبابهن ولا يلبث أن يزول

— ٦٧ —

هل يظل سر إيفا خافياً عن كمال وسر كمال خافياً عن إيفا ! أم تفتق الليالي عن هذا وذاك ، لا ندرى ، وهل يكون حبهما حباً خالياً من الأمل أم تمتلئ أملًا ؟ لا بد أن يعلم ذلك كل منهما ولا سيما إيفا لأن تفكيرها قريب المدى فهي تريد أن تطمئن على حبها خوف أن تميت به العواشب ، أجل ان كمالاً

فداءها على الثبات في الحب ولكن مامعني هذا؟ فهل هو
قد اعتزم الاقامه في قريتها أم ستضطرب لثبات الحب ان تغادر
قريتها ام كيف يظل هذا الحب قائما في مهب العاصفة اذا حان
هبوبها وهل القضاء الذي هيأ هذا الحب وهياها كاملا في عدة
ايام حتي لقد ولد شابا سيجمعه كملا في عدة ايام سواها ثم
تطيح به العوادي وهل لم يهيء القضاء له حلا جيلا ! ان اينما
تريد ان تفهم ! وهذا ما كان يعرض لها كل آن وهذا مادعاها
الى التفكير الاليم كأن القضاء عز عليه ان يرى هذه الفتاة سعيدة
فكلما قدم اليها شيئا من السمادة لا يلبث ان يسترده او كأنما
عز علي الشقاء ان يفارقها ساعة فكلما دافعه لا يلبث ان يعود

لك الله يا اينما ولك الخير كله . انت طيبة كريمة ولكن
القضاء يمارض راحتك، ولا بد لذلك من سر اما في حبك هذا
فلا ندرى ان كنت اتخذت وسيلة الي نزع هم كمال فحسب ام
ان لك في الحب صفقة رابحة وكل ما ندر به عنك انك اينما
المسكنة

ارادت إنما هذا اليزم ان تعلم ما يقدر كمال الحبها فما أكثر
ما يشغلها هذا الالم وقد شغلها الخوف من ان يعيث بحبها أكثر
مما شغلها الحب نفسه ولها ذلك فان موقفها في حبها وفي حياتها
موقف قلق ، ولقد أحبت كمالا حبا صادقا ومنحته كل قلبها
وهذا مادعاها لأن تعمل لتطمئن على هذا الحب ذلك الذي
أصبح فوق كل شيء وقبل كل أمر ، وذلك الذي أذاقها طعم
السعادة بل طعم الحياة فهل يدوم أو تنزل به صاعقة

جلست الى كمال فاذا هو يتحدثها عن خاطره الذي عن له
بالامس ويخبرها انها لا يستطيعان ان يطيرا بحبهما الى مكان
آخر خوف الميوز فرأت إنما أن هذه فرصة يجب ألا تسرح
فقلت وما زال هذا شأن الناس في التضييق على الحب والمحبين
فقال كمال انني لا أدري ما يضر الناس لو تركوا القلوب يتصل
بعضها ببعض فتسعد بالحب وتطير به أنى تشاء إن الحب حياة
القلوب وغذاؤها وكل قلب لم يتغذ بالحب قلب صلد لا يرق ولا
يلين وإن الناس ان ضيقوا على انفسهم في كل امر فكان واجبا

أن يغربوا عن التضييق على الحب والمحبين ، ولكن كل هذا
لأن النفوس ما زالت في حاجة الى كثير من عنصر الفضيلة
قال ذلك كمال لارضاء نفسه وفكره أما إذا فكانت تفكر فيما تقول
فلما شعرت بانتوائه قالت ومن يكفل لهم ألا يكسر الحب قلوبا ولعلهم
يطاردونه ويضيقون عليه سبله من أجل ذلك قال ومتي يكسر
الحب القلوب قالت اذا كان بهما لا يعرف له غاية تال وهل غاية
الحب الا الحب قالت أردت أن أقول اذا كان لا يعرف مدها قال
ان هذا متجاوز ارادة المحبين وكل محب يرجو أبدية حبه
قالت اذا يدوم حبنا يا كمال قال أجل ويزداد كل يوم ثباتا
قالت ليكن ذلك ثم صمتا معا وذهب كل يفكر في سبيل
ثم أقفا معا قاستا ذات إفا ونضت لسانها بعد أن منحت كمالا
نحية جميلة

تقدم الحب بإيفا وكمال فكان كل منهما يدساعة جلوسه
الى الآخر ساعة قد ضمت من نعيم الحياة الا حدله وكل ساعة أثنى
مما قبلها وكل يوم أجل مما سواه وكذلك النعيم كلما دام صفا

وذهب ما يلقى به من رنق ان كان يستطيع أن يعلق بالنعيم رنق .
 ذاك لتطيب به النفوس وتطمئن اليه ؟ واقد رأت ايها وكمال
 من انهما بهما بهما بهما ومن حبهما الجميل إذا انضمت إليهما
 جوانب خيلتهما ما لم يره إلا القابلون من المحبين الذين سكت
 عنهم الدهر زنا

وأحست ايها أنها وهبت قلبا غير قلبها وأحس كمال أنه
 وهب فؤادا وفكرا غير فؤاده وفكره ولو أنه سئل عن الحياة
 يقال مبعث السعادة ولتقي ضروب النعيم وليكنه كازلاها
 من هذا التفكير وهل شيء في الحياة يلبي ويشغل أكثر من الحب
 إذا فقد سكت الدهر عن ايها وكمال وأرضعها نماءه
 وارتاضا في جنة أنسه وطربه ودام بهما هذا الامر شهر أطويلا
 والامور كما يشتهيان والحياة على أجل ما يمكن أن تكون :
 يجتمعان وينفضان وهما الا حديث الحب ونجواه ، تضمهما
 خيلتهما فأن تب أحدهما وضع رأسه فوق صدر الآخر وبين
 يديه وترك قلب الآخر يبعثه وهو يستمع اليه ، أجل اقد
 أصبح حبهما صافيا لا يكدره مكدر لأن دواعي الالم كانت

في معزل عنهما ، ولأن الحب كان ساذجا فليس من مواعيند
تخلف ولا من عيوس تراقب ولا من تعرف سواهما بأمرهما
أو تعرف أحد منهما بسواه ، أجل كانت الحب لذيذ الورد
وكانت الحياة رائحة صافية وكانت السعادة مدلاة القطوف
فهل يسكت الدهر عنهما ؟

-- ٧٠ --

السعادة والشقاء موزعان في هذا العالم توزيعا عادلا فإذا
أخذ المرء بقسط واحد من أحدهما امتلأت كأسه من الآخر
وهكذا سنة ما له التبديل وليست السعادة احتكازاً لفوم دون
قوم وليس الشقاء نكبة علي قوم دون آخرين لأن الناس مع
ما بينهم من فرقة متساوون في حظهم من الحياة ، ونحن إذا كنا
نبحث عن المساواة في الحقوق بين بعضنا والبعض وفي معاملات
بعضنا لبعض فأولى بالفوه الإلهية أن تقسم حظنا من الحياة
تقسما عادلا

واقدم أخذت أينما وأخذ كمال من قبل بحظ كبير من
التمس ثم عادا فأخذنا محظ كبير من السعادة فهل تدوم سعادتهما

لم يعودنا الدهر ذلك ولم يعودنا الشقاء أن يغفل عن الناس أمداً طويلاً ، بل أن قلوبنا ليخاف عليها أن تنفجر اذا امتلأت أكثر من سعتها بالسعادة كما يخاف أن تنفجر اذا امتلأت أكثر من سعتها بالتس

إذا فلا بد أن يتغير وجه تاريخ كمال وإفلاهما وصلا الى حدود السعادة وحدود السعادة تلتقى نهايتها مع الشقاء وحدود الشقاء تنتهي أطرافها مع السعادة ، هذا مالا ريب فيه وهذا هو نظام العالم جحد ماجحد الجاحدون وجهل ماجهل الجاهلون وثار ماثار الثائرون وهذا نظام قد ثبتته توالى الدهور واطهر انه ليس أقوى منه ولا أثبت فلننظر ما يكون من شأن إيفا وكمال بعد ذلك ؟

جلس كمال الى رفيقه فقال ما قولك يا كمال فيما تم لنا من رحلتنا قال رحلة جميلة كل الجمال قال لعلك مطمئن النفس هادى الفكر قال كمال نعم وسعيد كل السعادة قال لقد اعتدت أفكارك واصبحت ترى فى الحياة أموراً تستحق التقدير قال

أجل ، قال إذا سنعود مغتبطين قال نعم قال واظن أن الجو
بدأ يبذل ثيابه وخير أنا ان نعود قبل ان تلحق بنا برودته
لأن اجسامنا اضعف من ان تطيقها فصمت كمال فقال رفيقه
يبدو لي ان الحياة قد راقتك في هذه القرية الهادئة ولكننا
في حاجة لان ننتفع بفكرك وعقلك في مجال اوسع قال كمال
اجل يجب أن يقوم الانسان بخدمة لهذا العالم الذي
يخدمه جميع افراده وإلا كان جاحداً ، فان كل ما تتمتع به من
صنع سوانا ونتيجة مجهوده ولا بد ان نبادله بمجهودنا وبالا
كنا جامدى النفوس ضعفاء الاحساس والشعور وانني لأخال
فكرى قد اصبغ اكثر حدة وعظلي أكثر قوة واصبحت اكثر
تهيؤاً لان اخدم العالم بمهنتي وآرائى فاطمان صديقه وسر بحديثه
وعلو همته واعتداله ثم نهض كمال على ان يحدد فيما بعد موعد
عوضهما

إذا فقد لاحت المشكلة التي كان يحذرهما كي لا ويحذر
التفكير فيها والتي فكرت فيها ايضاً من قبل ثم خدعت نفسها

في حلها وطماؤها من حيث ليس هناك داع للاطمئنان ولكن
 الأمر هين مادام كمال لا يعلم عن اسرة ايها شيئا وكأنه كان
 يتحاشى سؤالها عن شيء من ذلك او كأن حديث الحب قد
 الهامها عما سواه فلما بدا كمال يفكر في شأنها وجدده هينا فاما
 يرتضيه الحب والعقل ألا يهجر ايها بل ان ينعم بكونها بمضيقها
 الي بعض فاما مقامه بقرينتها فحال وهي تعلم انه محال اذا فاما
 احبته ولا املت في حبها وثباتها عليه الا وقد اعتزمت مرافقته
 الي حيث يريد والتضحية بكل شيء في سبيل الحب ان
 كان هناك ما يجب ان يضحي ، وابعده من هذا فهي ان ركنت
 اليه امكنهما ان يحيا حياة هادئة جميلة ، ثم قدر كمال في نفسه
 ان رفيقه ومن بعده والده سيطمئنان الي ذلك لان هذا هو
 ما اراداه من قبل ثم ذهب مع تفكيره فقدر انه سيكون اهدأ
 بالا واقدر على العمل اذا وجد لها الجذابة بجانبه تقاسمه شؤون
 الحياة

كان كمال يقدر ذلك ولا يدرى اذا كانت الاقدار تؤمن
 بحديثه أم تهزأ به ، ولكنه قد اطمأن وكنى

قدر كمال انه سيرحل قريباً فأراد أن يخلص نفسه من أفكاره الاولى، جميعها أو مما بقي عالقا بنفسه منها، وأن يتبدى حياة جديدة، حياة نشاط وتفكير قوي

جلس إلى نفسه بعد رياضة الأصيل وأخذ يستعرض ماضيه ويهزأ به فقال في نفسه: ليست الشجاعة أن تعتقد كل شيء في العالم بل أن تصلح ما يمكن إصلاحه وأن تجارى ما لا يمكن إلا عجاراته، ثم سخر من نفسه لأنه كان قد عمل العمل فقال: إن إنسانا يعمل العمل ليصبح أثق مخلوق في الوجود، لأن لكل مخلوق عملاً يؤديه ويقوم به قياماً معقولا في جسد ونصب، ثم استطرد فقال: وإذا كان كل مخلوق يتشبث بحياته ويفر من الأذى ومن أى عاد يوشك أن يعدو عليها فلا بد أن كل فكرة تمنع التشبث بالحياة وتفسر من شأنها لدينا فكرة شاذة يجب مقاومتها، فإذا كنت قد تخلصت من هذه الفكرة فيجب أن أطيب قلباً وأهدأ بالاً ثم قال غلى انه كان واجبي أن أتحمل وحدي هم كل ما كان من امرى، اما العلاقات بين الناس بعضهم وبعض علاقات قوية

متينة فلا بد انني قد اسأت الى الكثيرين من ذوى. إذا فلا تكن
أرواح نفسا ولا جملهم ما استطعت اكثر اطمئنا وأرخي بالا
ولا اجتهد ألا اكون يوما ما مبعث الم لسواى فليس فى هذا من
الشجاعة شىء ولا من المروءة ذرة ، إذا فسأرحل الآن انساناً
غير الانسان الاول والفضل فى هذا لرحلتى الجميلة، المناظر
الجميلة، لايفى الجميلة !!

كانت جاسة إيفالى كمال جلسة هامة فى حياتهم ففقد جاسا
هذا اليوم يتجادلان همسا كأن كلا منهما مستشعر خطرا،
قل كمال فقد حل البرد يا إيفالى قالت اتدعو هذا بردا وهو
عندنا لا يعد من البرد فى شىء قال انني لم اتعوده لا اعتدال الجولدين
قالت اجمل ببلدكم يا كمال، اما نحن فاذا حل البرد دخلنا منازلنا
وبدأت حياة مضحكة مؤلمة لنا فلا نكاد نقادر منازلنا الا عند
طلوع الشمس وقد نضل شهر ألا نطلع عينا شمس وقد سجتنا
الطبيعة فى منازلنا رجالا ونساء وقد غصت منازلنا بحاجتنا من
طعام وشراب وسواهما مما تستوجب الحياة واكن منظر الفة

جميل ان تحتجم الاسرة جميعا حول مدفاتها تتسامر وتتحدث
واقعد يغمر الثلج المنازل ويملو في الطرقات ولو ان ناظرا
من اعلى نظر الي القرية من قرى لبنان عند ذلك لسره
منظرها ولاضحة منظر هذه الاديمة المخنثة ، قال كمال

ولكن امانفكرون في خيلة لان تعملوا وتجودوا وان حل
بكم هذا البرد وهاهي كثير من بلاد اوربامض طربة الجرو ولكن
العمل سائد فيها لا ينقطع لانه لامي لان يقف مجهودكم من
البرد! الى هذا الحد، قالت ليفكر المفكرون او انتقم انت في
قريتنا لتدلي الي الناس بما ترى من رأى قال لاني لاأحمل مثل
هذا البرد ولا أستطيع المقام تحت جوه فسهمت إيفا وصمتا
معاذلك لان إيفا قد وصلت مرة أخرى الي النقطة الحرجة في
حياة حبهما ثم تشجمت وقالت فماذا تفعل يا كمال بحبنا قال أنا
طوع ما تريدن قالت لقد شغلنا الحب عن التفكير في عاقبه
قال ليكن الله موقفا حيننا قالت واسكن علينا تبدير شأنا قال
وهل من عقة تنكاهنا في سبيلنا قالت لا أفهم ما تعنى قال أمانع
يمنعك عن الرحيل إلى مصر وإيأى ، قالت لاني أوافق على ما

يرتضيه الحب وآبى كل ما يبعث به، قال ماذا تريد من أن تقول
 لأنك لتراوغي عني أمرا فبالحب إلا أفصحت قالت أريد أن
 أقول لأدري كيف ألهيئنا من معضلتنا هذه من قبل فلمنا كنا قد
 عثرنا على حل قال وما المعضلة إذا اعتزمت الرحيل فصمتت
 أيضا ثم لم يلبث أن تساقط من عينها سرب من الدموع كأنه
 رسالة استمطاف إلى كمال ألا يقسو عليها أو للزمن أن يكون
 أشفق بها من ذلك أو كأنها كانت تدخر هذه الدموع لمشل
 هذا الموقف الاليم فأشفق عليها كمال وقال لنسعد ذلك إلى
 الغد فدون الرحيل أمد طويل نستطيع التفكير فيه والادلاء
 بما نريد فاطمئني الآن يا أيها فليس أفسى على قلبي من أن أراك
 مهمومة

فنهضت أيضا مهمومة واحتملت ساتها وقصدت حقلها
 ولكنها وجدت أن الحديث قد ألهاها عن ميعادها ولا بد أن
 أمرها سيشتغل والنتها ولذلك فقد ازدادت هما واضطرابا

إن النكبة إذا نزلت نزلات دفعة واحدة وإذا أذنت بالرحيل

انجابت شبتا فشيئا. ولقد هبت عاصفة عاتية بهذا الحب الذي
شب ونما في هذا الوقت الضئيل ولا ندري ما تفعل هذه
العاصفة بهذا الحب. لقد شب ونما وشيكا فهل لم يكن أساسه
قويما . أجل أن الموقف عجيب ومؤلم . مما ، فـمـل
تذوى كل أغصان الحب النضيرة أم يزيد نماؤها
وترعرعها وهل تصبح هذه الحبـة ذكـرى البـة أم
ذكـرى سـعيدة ، وهل تنصف إيفا المسكينة من شقاتها العنيد أم
تظل سـجينـة بؤسها مدى حياتها ، أيها كمال بايفا وإيفا بكمال
أم يحول حائل من حادث الدهر بينهما ، لاندري وسندري .

— ٧٦ —

ذهب كمال الى منزله حاملا على كتفيه هم إيفا وثقا أن
خطرا ينتظر بهما أو حائلا سيقف دونهما عمله وإيفا ولا يعمل هو
فما هو هذا الحائل الذي يريد أن يقوم حجرا في سبيلها . ان كمالا
لا بد أن يقف عليه

جلس كمال وحده وذهبت به الافكار كل مذهب وأخذ
يمجد نفسه هذا الحديث: أهذى هي الفتاة التي أوّلها والتي .

علماً نفسى مدى حياتى ، أجل انها طيبه القلب كريمة النفس
 مستيفضة الروح ، معتدلة التفكير ولكنه على كل تفكير ساذج ،
 وإذا كانت تستطيع أن تحدثنى بلغة الحب وتسايرنى فى التفكير
 فى ساحته فهل اذا تضاعف هذا الحب أو طغت عليه الحياة الأخرى
 التى تقدرها تستطيع أن تجاربنى فى التفكير أجل انها لنستطيع
 لأن الحب قد صقل ذهنها ووزج فكرينا وقالبينا وصنع منهما
 نسختين من نوع واحد فأننا لم نختلف فى أمر منذ أحبتني وأجبتني
 ولم يتجاوز الينا لوم ولا عتاب ، اذا انفا هي الفتاة التى استطعت أن
 أرى نعمة الحياة بجانبها وكفى أن الحب قد ربط ما بيننا بأقوى
 رابطة فاذا اتفقنا من قبل فى الحب فأننا متفقون من بعد فى كل
 شيء لان الحب يترأس جميع العواطف

قال ذلك كمال واقنع به نفسه إلا أنه تذكر أن الحب يعمي
 عن كثير وأن هذا حق لا ريب فيه وامله فى النقد يتبين له من شأن
 انفا ما لم يتبين من قبل فاضطرب واهتم وأزعجه الامر ثم رأى
 أن يترك ذلك حتى يعلم معضاتها ويعلم كيف تقوم ونفسها فى مهبطها
 ونحن نرى أن كمالا كان جلدا فى حبه كما كان جلدا فى محنته

وكما تقدر له في حياته كلها . فهو رجل تفكير ورجل قلب حساس
ولكنه ثابت الرأي شجاع النفس

— ٧٧ —

لم تكن والدته ايضا تعلم شيئا عن ذلك الحب الذي استمر
هذا المدى ولما تكن تعلم الا ان حال ابنتها مضطربة وانها كثيرا
ما تدخل اليها في غرفتها فتجد نومها مؤرقا في ساعة من الليل
ما كانت ايضا في مثلها الا ان تكون في سبات عميق فاما الذي أرق
نومها وشرد لبها ، لم تدرك هذه الام المسكينة وظلت كذلك تخشى
ان يكون قد نزل بابنتها ما لا قبل لها باحتماله او ان تكون مخفية عنها
من هموم الحياة . لم بها فآزعجها ، اذا فايضا كانت . بمعت ألم وتفكير
لوالدتها دون ان تدري

فلما كان هذا اليوم وعادت ايضا متأخرة مضطربة سألتها
امها عن شأنها وشأن تاخرها فلم تبذل جوابا مقنعا فأدركت أمها
ان شيئا وراء الستار ما من ذلك بد فازمعت ان تعرفه ، فانتظرت
قليلا وصبرها نافدا لا ان ايضا دخلت الي فراشها وارتمت به
خائفة النفس ، لان الحقيقة قد ظهرت واضحة امام عينيها ولم يعد

يجردى خداع لنفسها ولا انتظار لعدوها فأزعجت واخذت تشور
ثم تهذا ووالدهما بجانبها تعجب لسانها وتستقيها فلا تقي بشيء ،
فثار همهما القديم وانه تخرج بهما الحديث فاضطرباها ماء وضجت
الفرقة بمناحة قائمة

وبعد فلم تطاق الام صبرا على هذا فجلست الى جانب
ابنتها وتكلمت سكون النفس وهـدوء الخاطر وكانت ايضا قد
سكنت نائرتها قليلا ، فقالت : يا بنيتي آيت عليك باهـومي الا
حدثيني بهمك الذي تمنينه عني ، لانا يا بنيتي غريبتان في هذه
العالم نائتان في ساحته فلا أقل من أن تقضي كل منا للأخرى
بما عندها ولا أقل من ان تعاويني واعاونك على السير في هذه
الحياة الشائكة التي قدر لنا ان نقطع رحلتها في أسي دأئم دون
ذنب جنيدناه او جرم اقترفناه ، فهل لك ان تحدثيني بشأنك
يا بنيتي العزيزة ، فهمت ايضا بأن تقول شيئا فانمقد لسانها وضجت
بريقها واجهشت في بكائها فأخذت امها تنهـم من المـسا وتروح
من نفسها وتقبل قبلات اموية تطفي من نائرتها وتذكرها بان
في الدنيا قلوبا تمطف وتمحو ، أخذت في هذا حتي هدأت إيفا

قليلًا وَاغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا مُسْتَقْذَةً بِالنُّومِ مُسْتَغِيثَةً بِهِ لِنَجْيِهَا مِمَّا
يَسَاوُرُهَا وَكَانَ النَّوْمُ قَدْ اشْرَفَ عَلَيْهَا فَرَكَّتْهَا وَالدَّمَا وَقَصَدَتْ
الْفَرْقَةَ الْمَجَاوِرَةَ وَارْتَمَتْ بِهَا فِيهِمُ الْيَمُّ وَنَقَمَةُ كَبِيرَةٍ عَلَى الْحَيَاةِ
وَتُورَةٌ فِي النَّفْسِ لَا مَدَى لَهَا

كَانَتْ إِيَّاهُ فِي مَوْقِفٍ مَحْرَجٍ حَقًّا كَانَتْ فِي مَوْقِفٍ تَوَازَنَ
فِيهِ بَيْنَ أُمِّهَا وَحَبِيبِهَا ، أُمُّهَا الْمُسْكِينَةُ الَّتِي حَمَلَتْ هُمَهَا وَهِيَ تَرِيئُهُمَا
وَتَشْتَهِي أَنْ تَهْدِيَهُمَا طَوِيلًا وَحَبِيبُهَا الطَّيِّبُ النَّفْسِ الَّذِي يُجِبُّهَا مِنْ كُلِّ
قَلْبِهِ فَكَانَتْ فِي مَوْقِفٍ تَفَاضَلُ فِيهِ بَيْنَ عَطْفِ الْأُمِّ وَعَطْفِ
الْحُبِّ فَلَمْ تَهْتَدِ إِلَى حُلِّ فَتَارَتِ وَأَضْطَرَبَ رَأْسُهَا . أَجَلَ كَيْفَ يُمْكِنُهَا
أَنْ تَوَازِنَ أَوْ تَفَاضَلَ وَكَيْفَ يُمْكِنُ هَذَا الرَّاسُ الْمُسْكِينُ الصَّغِيرُ
أَنْ يَتَحَمَلَ لِلنُّزُولِ عَنْ هَذَا أَوْ ذَاكَ ، أَمْ إِيَّاهُ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ أَمْ أَمْ أَنْ تَرَحَّلَ
إِلَى مَبْصَرٍ تَارِكَةٍ وَالدُّنْيَا لِلَّهِمُ وَالْأُسْبَى وَالْوَحْشَةُ فَلَا تَرَاهَا إِلَّا كُلَّ
عَامٍ وَقَدْ لَا يَتيسَّرُ لَهَا ذَلِكَ وَأَمْ أَنْ تَتْرَكَ كَمَا لَا يَعْبُدُهُ هَجْرُهَا
وَيُعَذِّبُهَا هَجْرُهُ ، وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ يَا إِيَّاهُ وَكُلَّتَاهُمَا مَرَّةً الْمَذَاقُ
خَلِمَ تَسْتَطِيعُ إِيَّاهُ الْإِخْتِيَارَ فَوْقَ نَفْسِهَا مَتَهَادِيَةً فِي مَهَبِ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ

العاية فلما استفتتها أمها ثارت برأسها ففكرة أخرى : انفضي
إلى أمها بسرها وأمها لن يسجبهما الرجل ولن تتفق وفكرته
أم تهجر أمها وترحل دون أن تدلى إليها بخبر، ولكن في هذا
قسوة شديدة لا تطيقها نفس أيضا الرقيقة فاضطربت كما رأيناها
وثار ثائرها كما شاهدناها مرتجمة في فراشها ووالدتها بجانبها
تسألها عن شأنها فلا تجيب حتى أنقذتها هذه الأغفاء الضئيلة
فهجرتها أمها إلى الحجرة المجاورة، فلم تلبث الأغفاء أن انقضت
وعادت أيضا اللهم والأسى مرة أخرى ورأت نفسها في ساحة
التفكير ولم تسك تلبث قليلا حتى سمعت صوت أمها تناجي نفسها
في الغرفة المجاورة ، أجل كانت تناجي نفسها في صوت ثائر
مرتفع فذسمت أيضا وأصفت إلى ما تقول أمها :

— ٧٩ —

جاءت الأم وحدها تناجي نفسها وكان ما بها قد اغتلبها
عن أمرها واثار بركانها والجأج قلبها في صدرها فأخذت ينث
هذا الحديث ويثر هذه النعمة :

« أيها الشقاء ما بك مني وما بك من هذه الفتاة المسكينة

ومن هذا الفتى المرتضى لا تنفع منه الوجود ولا تنفع له من الوجود
 ايها الشقاء اعجزت عن ان تصيب غيرنا من الاقوياء الاشداء
 فاجتمعت في قلوبنا الضعيفة الضيقة ، ايها الشقاء لم يكفك
 ان اطعت بمائل هذه الاسرة واقعدت من كان في استطاعته
 ان يمولها من بعده وتركتي وهذه الذمّة البائسة في ساحة عذابك
 حتى جئت الي والى ابنتي اليوم بهم جديد ، اياك ايها الابنة
 وه اذا حل بك وأى هم داهم قد اتض قلبك واذهب راحتك
 وما كنت تتأثرين لكثير بل كان من شيمتك تهوين الامور ، ما
 الذى نزل بك حتى بدل من شأنك ورمالك في فراشك تضجين
 وتأمين ولا تكاد تفهم لذلك سببا . ايها الشقاء اما والذي نفسي بيده لو
 تفجرت رجلا ورأيتك لاهبت بنفسي لا قترسك وانا الام الضعيفة
 والمرأة المسكينة ايها الشقاء ما بك مني . افض به الي وحدثني !
 ثم اخذت هذه الام تردد هذه الكلمة الأخيرة فاضطربت
 لما فاضلت ان يأمرها سوء ' ولم تطلق صبرا على استماع اكثر من ذلك
 فنهضت الي أمها وارتمت بين ذراعيها وقالت ما بك يا أماه ما بك
 يا أماه . اهدني قسا فاني . ففضية اليك بكل شيء والامر امرك

ولاني منك ولك وبين يديك. ثم أجهشت في البكاء فالتفت بها والدتها ونعانتها كأنهما حبيبان في وطف لقاء بعد هجر طويل. ثم جلسا داذئين كأز شيثالم يحصل. وأخذت إيفاء قص علي والدتها كل ما كان من شأنها مع كمال ومن حبهاله وأمهات نصته كمن يتلقى الوحي ، فلما انتبرت إيفاء صمتت كأنها الطفل التي لدرسه القطة التي يحفظها ولا يحفظ سواها ، فاهتزت الام اهتزازة مؤلمة وانتفضت انتفاضة زعجة وقالت ثم ماذا إيفاء ثم ماذا انتزمت أن تهمل ، أتركيني في صحراء العلم وحدي أم ماذا تفارين فقالت إيفاء غفوك يأماء لاني مازات أردد لاني منك ولك وبين يديك قالت ياركك الله يا بنتي وينجيك من محنة لو أطعت فيها هواك ورحلت عني لأأراك ولا آنس بقربك لضاقت بي الحياة وسئدت لونها . تذكرى ذلك جيداً يا إيفاء وتذكرى أخاك المسكين الذي لو علم ذلك لبغع نفسه حسرة ولا تزيد همومي لتريحي نفسك فانك ستشترين لنا هموم دهر براحة أيام لك ثم لا تلبئين أن تنذمي وتتلومي حيث لا ينفعك ندم ولا تلوم . حذار يا إيفاء أن تحذرك نفسك أو

يغلبك قلبك أو يترك حبك قالت الامر لك يا والدتي وسأبحر
هذه الحب قالت أجل يا بني

وبكأنما عز علي ايما أن تقول كلمة نائرة كهذه وتطمئن
الحب في ظهرك هذه العلمنة فارتحت لدى أمها باكية مضطربة
وكذلك قضت — يومها في هم قاس حتي
أظلمها الليل وسكن العالم فسكنت نفسها ثم قامت إلي فراشها
بعد أن حملت الأم ابنتها كل ما في جمعيتها من نصيحة وبعد
أن وثقت الأم أن ابنتها طيبة لها مشقة على حالها ووقفها
وكذلك انتهى هذا اليوم الأليم من أيام يفا
المسكينه

نو أن إيفا قد اعتزمت أن تقاوم حبها وتدافعها لما نهضت
في صباحها متألمة نادمة علي ما قررت وأسرقت فيه بالأمس
بل رأت انها جاءت أمراً لإمراء أجل لأنها أحبت ويجب ألا
تكره وعاء قلبها ولقد شملت أمها بحبها وكان واجباً أن تعيتها
علي أمرها وأن تساعدتها علي أن تنفخ في هذه الساعة.

سعادة الحب . لا أن تهدم سرادقها وتقيه لاجابا بان انتهيا
 ستعرج الحب . أخذت إيفا تفكر هذا التفكير ثم استطردت
 فقالت . ثم ماذا . ثم لاني لا أنحر الحب وحده بل سأنحر قلب
 كمال وهذا أليم بل هو مستحيل . انه أحبني وأحبيته وأكرّم
 حبي فلا أكرّم حبه . ومن العبث أن أطلب اليه ان يقسم
 بقرينتنا لانه رجل يريد ان يكون نفسه في عالم ارقى من هذا
 وانه ليقبر همه نفسه لو بقي هنا . اما انا فاذا اريد من الحياة
 غير ان انضم الي انسان لعل ارى بجانبه من نعيم الحياة ما لم ار
 وامل هذا الشقاء ينقضي عني . وها هو القدر قد هيا لي هذا
 الانسان . فلم افر منه ولم افر من سعادتي . كان واجب امني ان
 تقبض لاني ان تنزعج ولكنها لم تفعل فليس لي الا ان افر من امني
 الى سعادتي ، الي حبي ، الى كمال . ثم كأنها أدركت ان هذه قسوة
 . تتجاوزة كل حد فاضطربت وثار وارتعت في فراشها فنهضت
 اليها أمها وقالت ما بك يا إيفا وماذا اتقي لنا عن هذا الصباح
 قالت لا شيء يا أمها ثم نظرت انما الي عيني أمها فرائها منخضتين
 بالدمع ورأت وجهها قد اكتسى ثوب اكتئاب وهم فغطت على

هذه الأم المسكينة ونسيت ما فكرته ومحت ما ذهبت إليه منذ قليل، ثم تذكرت ميعاد كمال وميعاد ذهابها إلى الحقل فلم تأبه له ولم تحفل بهذا ولا بذلك وألقت بنفسها على فراشه مرتعية ساهمة لا تبدي ولا تعيد ولا يفعل القضاء ما يشاء

إذا فإيفا مضطربة الرأي تبرم ثم تنقض وتنقض ثم تبرم وبين هذا وذاك هي متلفة رأسها حاملة همالا قبل لها باحتماله ولا تعرف أن تقف على قدميها في هدد العاصفة ولا تدري من يقودها فيها. وهاهي قد أقلمت عن مقابلة كمال اليوم فماذا صنع وما عسى أن تكون آراؤه:

ذهب كمال إلى الحميلة وانتظر إيفا بصبر نافذ لانه يريد أن يعرف سرها وسرهما ويريد أن يقاوم كل ما يقف في سبيلهما. إدام حائلا لا يتفق مع الفكر القويم والقلب الكريم. أخذ ينتظر ثم ينتظر فلم توافه إيفا. وايس هذا بقليل بعد ما كان من شأنها بالامس فظن كمال أن الحائل قد امتد سلطانه إلى أن حال بينها وبين القدوم هذا اليوم ثم ذهب ظنه بعيدا فظن أن

ايفأرادت أن تضاف من ثورة حبها وجهه بعدم قدومها ثم ذهب
أبعد من ذلك فظن ان ايفا بدأت تقاوم حبها لأن لديها سرّاً
تخفيه عنه . وتود أن يظل الستار مسدولاً عليه .
ثم عز عليه أن يحكم على ايفا الطيبة هذا الحكم القاسي
فخارت قواه واضطرب أمره وارتمى على جانب من جوانب
الخميلة مهموماً ولهاياً بعد اذ رأى أن ايفا تجاوزت ميعادها ولم
يعد امل في قدومها وأن مأساة الحب قد بدأت تمثل
وظل كذلك زمناً في خيلته متضعضاً خائراً النفس متميزاً
لأنه لا يعرف هذا المادى الذى عدا على حبها وهذا الحائل
الذى يريد ان يحول بينهما وهذه اليد السوداء التى تريد ان تعبت
بحبها الجميل اجل أن كلاً يريد أن يعلم ذلك فلما لم يمتد لشيء
ولم يعد يقدر أن يأتي الا انتظار بمجديد تحامل على رجله ونهض
الى منزله بين هم وتفكير

كل ما هم كلاً ويكر به أنه لا يعلم حقيقة موقفها حتى
يستطيع أن يحله حلاً معقولاً ويبرم فيه رأياً مقبولاً ، فلقد ذهب

مع حبه مذهباً بعيداً وسار معه شوطاً كثيراً وما كان يقدر أن يخرج منه بخسرة تعبت بقلبه دون أن يعلم لعبثها سبباً، بل ما كان يقدر أن يخرج من حبه بمعضلة مهمة تقض رأسه دون أن يفهمها أو يدرك لها كنهاً



إذا فحين يرى كمالاً في كل موقف من مواقفه يريد أن يستخدم عقله ويريد أن يستغني بقلبه، فلما عاد إلى منزله عاد مهموماً ثم أخذ يفكر قليلاً بعقل أكثر اعتدالاً فقادته التفكير إلى هذا: قال في نفسه إن واجبي ألا أضع نفسي في موقف قد أسخر بعد ذلك من وقوفها فيه فلمل سبباً نافها قد منع إيفاء عن الحضور أو لعلها متخرفة قليلاً أو لعل شأننا منزلياً قد شغلها عن القدوم فلم تستطع موافاتي اليوم ولعلها مهمومة كل المم لتأخرها عني وما كان لي أن اذهب كل هذه المذاهب فهذا ما يجب لمثلي التعلاني عنه، وكل ما في الأمر أنني لم أراها يوماً. أجل وهذا ما يجب أن يكون سبب تألمي ولا سبب سواه فلقد كنت أحب أن أرى أيضاً الجذابة فتسمعي واسمعي لثة الحب العذبة التي

تغذى القلوب ومجلوهمها وتبعث فيها القوة والحياة . كنت أريد
أن ألام جراح قلبها أن كان هناك من جراح . ولكنى حُزمت
رؤيتها اليوم فليكن سرور غد مضاعفا وكفى ولا شيء أبعد
من ذلك

أدأ تفكر كمال قد اعتدل وكل ما يقوله جميل ومتفق مع
الرأى السليم وكل ذلك لتحليله الجميل لكل امر وفكره النافذ
إلى كل شيء فكل فكر ويحسن معرفته الأمور ويحسن تدبيرها
وتقديرها ولا خطر عليه وعلي فكره إلا إذا فكر في شأن الحياة
وقيمتها تفكيراً مغرباً . فإن نجح من ذلك فلا خطر عليه وإنه لولا
حسن تفكيره لكان له من ضربات الحب ما يئلف عليه رأسه
وبزيد من محنته واضطرابه ولكنه يقدم العقل في كل شيء حتى
في حبه ولعل هذا عجب . ولكن هكذا كان شاعر كمال . فإذا
الذي كتب له في هذا الحب وماذا قدر له من عاقبته . سنرى !

كتمت ايضاً ثورة نفسها عن والدتها وأبرمت أن تغالبها
وحدها . وظلت بقية يومها تفكر في أى الطريقين اهوزر كوبا

فوجدت كلاهما مركبا صعبا الا ان اهوניהا ان ترحل
 مع كمال وتسعد بحبها وتسعده به والا تحدث انقباضا في
 قلبيهما وان تنهد والدتها بالزيارة كل عام وتقضي لديها شهر
 الصيف ولا بد ان امها كانت مقدرة اقترانها يوما ما وبمدها
 عنها وحياتها حياة مستقرة ثم عادت فذكرت ان امها مذبذبة
 مكسورة القلب وان واجبها ان تكون بجانبها وان
 اقترنت بأحد فليكن من آل قريتها لتكوز بجانب أمها واخيها
 يشاطرهما سعادتهما ان كان ثمة سعادة وتشاطرهما بؤسهما لا يتبد
 وشقاءهما العنيد . ثم أبرمت ذلك ورأت ان من العيب
 بالنفوس واحاسيسها ان تسعد هي ليسقى سواها فان لم تنفق
 لها سعادة الا بايلام سواها فلا كانت تلك السعادة . ولما كانت
 والدتها قد ثارت ثائرتها اذ علمت بامر حبها واخبرتها ان
 في رحيلها القضاء عليها بانشقاء الذي لاحدله وعلى اخيها بالحسرة
 الغائلة فواجبها ان تقام عن فكرة الرحيل وان تدفن هذا
 الحب في جانب من قلبها وان تحفظ لكمال حسن صنيعه
 سواء سمح بالمغو عنها او لم يسمح لانه قد اذاقها لذة الحب ارقى

لذة تحت السماء



هذا ما اقرته ايضاً بعد نورة الصباح واطمأنت اليه فبدت
لوالدها بعد ذلك في ثوب هدوء وسكون فاغتنبت والدتها
بنجاة ابنتها من الخطر وانها عادت الي الفكر القويم ولم تفكر
في الذهاب الي الحقل ولا في مقابلة كمال . اذا فالحب بدأ يهدأ
ثأثره في نفسها

— ٨٤ —

كنا في صباح اليوم الثاني ولا تزال ايضاً مبرمة ان تهفو
فكرة الرحيل وان تقبر الحب وان تضي بمذرها القوي الي
كمال الطيب القاب وان تضحي براحتها من اجل والدتها
واخيها . ثم رأت في نفسها ضعفاً وخوفاً عن الذهاب الي
حقلها فرأت في ذلك خيراً وامتنعت عن الذهاب تهية لان تشمر
كلاماً أن داعيتها قوية وحجتها ناهضة ومهما كبير فيعفو
عنها ويصفح ويخف وقع الواقعة عليه ويطلب لها التوفيق في
حياتها النكدة . ورأت بعد هذا ان في امتناعها عن الفدو

هذا اليوم ما يفهم والدتها ويقنعها انها قد هدأت واطمأنت وانها لم تعد تذكر كمالا ولا ملاقاته ولم تعد تفكر إلا في راحة والدتها المسكينة وفي الإطمئنان إليها والركون الي جانبها وان كل ما كان عارضة زالت ونكبة مرت بهم فلم تمل عليهم

هذا ما رآته أيضا المسكينة المضطربة في مطعم هذا اليوم فاطمأنت ثم قامت تطل من نافذتها وتتأمل الجبل ومنظره وما أبدعت يد الطبيعة فيه وظلت كذلك ساعة طويلة حتى كان ميعادها إلى الحقل قد مر فتذكرت ذلك ، فطارق فكرها خاطر الهم أعجبها لأحظائها ، فحدثت نفسها هذا الحديث

أيها . إني ما أبأسك وما أصلد قلبك ، ابن كمال الآن إنه منتظر في خيمته بصبر نافد . نعم انه ينتظر ايها القاسية ان هما اليما يتورده ويقطع عليه كل سبيل ، ان غصة الهمية يشرق بها ويألم ، ان فكرة قاسية عن ايها تتردد في أنحاء رأسه ، انه يقول ان ايها قد عبثت بحبه واتخذت كمالا ملهاة لها . أجل ماذا عساه يقول غير ذلك ، وله أن يقول ، أجل اني أبيع سعادة الشباب براحة

الشيوخ ان أمي قد اخذت بحقها من الحياة سعادة او شقاء.
أما انا فيجب ألا أضيع حقى ، واذا كانت الملائق بين
الناس تضطر كل انسان لان يعمل هم سواء ويضيع سعادته
في سبيل سواء فانها اذا علائق فاسدة ، اذا لا ابيع سعادة الحب
باى ثمن ، ولا كفر عما جنيت فى جانب كمال فى هذين اليومين .
ولا ضرع اليه أن يغفر ذلك ، فانه قى طيب كريم وقد وفقت
لحبه فلا تمسك به ولقد وفق لحي فواجبي الا اخيب له املا
ولا رجاء ولا ظنا . اذا فلتسر والدنى بسرورى او فلتجد شأنها
فهي رما تريد

وكأثمارات ايفانها قاسية على والدتها كل القسوة فصدت .
صدمة حادة عادت بها الى فراشها ساهمة متأللة
وبعد قليل واقفها والدتها فتظاهرت ايفا بالهدوء فاطمانت
والفتها وظنبت ان ابتها فى طريق السلوان !

واقضى يوم ايفا وقد ابرمت الاحتفاظ بحبها ومقابلة كمال
فى الغد ما من ذلك بد ، وليكن بعد ذلك ما يأمّر الحب ان يكون .

عاد كمال الى خيلته في اليوم الثاني وهو لا يسيء ظنا بإيفا ولا بحبها ولا بمقيلتها وانما ينتقد ان وراءها هما اليها وان عائقا قاسيا يمتاق بحبها او يتاق حبها عاد كمال وهو يظن ان ايفا متألّمة كل الالم لتفجيرها ومتحسرة جد الحسرة لمجزها عن لقائه . عاد وهو يتمني ان لو قدر له ان يرى هذا الهم الذي يلقها ويساورها ليقته قتلًا . اجل هو يحب ايفا حبا جما ويجب أن يقاوم كل مايؤلمها وينقص حياتها بل كل مايخذل سعادتها عاد بهذا القلب الرقيق والفكر الهادي الذي تدرما يتفق الحبين في حين أن ايفا كانت تمتعه ناقما عليها وعلى غيابها وانقطاعها عنه ، عاد وهو يقول : إن ايفا احبت كمالا وكالا أحب ايفا ، فايفا لكمال وكمال لايفا

أخذ كمال ينتظر ايفا فلم تقدم فانتظرا أكثر فلم يجد الا انتظار شيئا فلم به ألم كبير من أجل ايفا وقد رمهي فيه فزاد تأثره وراوغت عينه دمة فنامها لانه ما تعود أن تخضل عيناه بدمع في موقف من مواقف حياته فهو يتأثر ولكن بقلبه لان من

الشجاعة في رايه كتمان الهم أما اللوموع والبكاء وما اليهم ما فتضح
المهموم وتبين همهم وضعفه وتشرك في الهم سواءه، وهذا ما لا يراه
جيلا ولا لائعا، فلما رأى الا انتظارا بشا وجهه واكتأب وأخذ يناجي
نفسه تارة ويناجي إيفا تارة أخرى فيقول.

• اباك الآن يا إيفا وفيهم تهكرين وفيمن تهكرين أجل انك لا
تفكرين الا في حبك وفي كمال، أنت طيبة يا إيفا وكريمة ومن
الكرم ألا أحرم رؤيتك يومين كاملين . إذا فذاك . ماثل قلس
يبتنا ولكن لا بد أن تغلب عليه طيبتك أو تغلب عليه عزيمتي •
ثم نهض فقاد الى • نزله

نحن في اليوم الثاني وكما كنت في خيمته وقد اعتزم أن تخلف
إيفا هذا اليوم أن يبحث عنها وان • جبرها خلف السحاب
ولا بد أن يعثر عليها فانه • لم أن إيفا لا يد لها في تأخرها فلا بد
أن يدا أخرى تعمل : إذا فلتقاوم هذه اليد



أما إيفا فقد نهضت • بكرة وكانت أمها قد اطمأنت الى

انقطاعها عن شأن حبه وانفصالها عن ملاقاته كمال يومين مثاليين
فلما نهضت اليوم لتقصد خيالها لم تجد من أمها ما يمنحها بل لم
ترتب أمها في شأنها فذهبت أيقظ مستعدة أن المقادير تساعد
مستعدة لاستغفار كمال عن ذنبها

كان كمال مطرقاً في خيلته مفكراً فيما يقدر له في حبه وفي اليد
السوداء التي تهفو به، واذ هو بائفا قد وصلت إلى الخيلة وحادثته
فاتته جذلاً واستيقظ طرباً لا تكاد تتسع له ثيابه وخيلته
فتعانقا تعانقا طويلاً قست فيه القلوب حديث شوقها ووجدتها،
ثم أبدت أيفاسرورها العجيب برؤيته وأرادت أن تجشو لاستغفاره
فأنهضها وجلسا معا وبدأ حديثهما:

قالت أيفا ماذا عساك قد قلت في ناخري يا كمال قل كل
خير واقدألت ظناً أن بك ألماً وتحسرت لحرمانى من لقائك
يومين كاملين؟ قالت ألم تنظرن في الأهدال ما ذهبت إلا إليه قالت
ما أطيب قلبك يا كمال وما أكرم نفسك، إن حباً مثل هذا يجب
ألا يعارضه شيء أو يحول دونه أمر قال وما الذى يعارضنا ويقف
خوننا؟ اشدما اخفيت عنى سرا ولكنى ما أملت لذلك، قالت

او اغترضت الرحيل قال وكيف اغترضه دون ان اراك قالت
 اذا فاستمع الي يا كمال وهبني كل سممك ولبك:
 لم احداثك عن اسرتي ولم تسألني عنها كرمنا منك ، وان
 سرها غلة هي ذلك الهم الذي حملته في ناحية من قاري فأتقله
 وما أظن ان احدا يرفقه عني ، قال: كمال ابدل به وانا دون هذا
 الهم حجر قالت : ماذا تقول في أسرة لا عائل ما ثم اجمشت
 في البكاء للحظاظه واخذت تتحدث في صوت بهتدج فصل
 كلماته الانات والآهات وتقول : ماذا تقول في أسرة قتل عائلها
 وارثي ابنه لا خير فيه نفسه ولا سواه وبقيت الام بحسرة
 حادة والابنة بهم الم . هذه اسرتنا يا كمال وهذا هو شأنها . ثم
 أخذت تقص عليه التاريخ صفحة صفحة ثم حدثته عن شأن
 والدتها وعلما بجمعا وثوراتها عليه . ثم انتهت فقالت وبعد
 هذا كله قد أزمعت أن أكون قاسية على أمي ولا أقبو
 على الحب وأن اكون اليك مدى الحياة فان حيا زبطته يد الله
 يجب ألا تفصله يد البشر . قامت ذلك ثم ابريات آخر سرب
 لديها من الدمع ثم انتظرت . بالحكمه كمال في هذا الموقف الاليم

كل ذلك وكما يتأملها ويلتقط الخبر جملة جملة ويرسل
فكره خلفه ليبدى رأيه فيه حتى تمت روايتها وهو كأنما كان
يرى الساعة منقضة على حبهما وليست شيئاً أقل من الساعة
يمكن دفعه ومقاومته كما كان يظن، فاضطرب لأنه سينطق
بالحكم والرفض قاس والقبول قاس ثم نظر فرأى إيفا تنتفض
بجانبه ولو أنه صادمها بالحكم الحاسم لانكسر وعاء قلبها لساعته،
فرأى أن ينتظر إلى الغد لعله يهتدى إلى جديد

ثم نهض من هم إيفا وأخذ يتحدثان قليلاً حتى كان وعدها
افتهضت وحيته تحية جميلة وقالت إلى الغد يا كمال، إلى الغد
لا أليم أو الغد السعيد ؟

« كيف يكون الغد سعيداً يا إيفا وكلا الأمرين كركوب
الأسنة » هذا ما كان يقوله كمال لنفسه بعد أن نهضت إيفا ثم
استرسل فقال : هذا موتف محرج يا إيفا وقفنا فيه القدر فما
لك لم تقعي على ذلك من قبل ومالي، لم أسألك عن شأنه، ألا
لقد مهد القدر لهذا الموقف الاليم تمهيداً قاسياً،

ثم نهض الي منزله وفكره يتصفح الامور ويوزن بينها
وجلس وحده هناك على متكأ مشرف على الجبل وأخذ يتم
كتاب أفكاره :

فكر كمال في البقاء في لبنان فوجده ضربة لنفسه ومستقبله
وضربة لاسرته ولا ييه ثم فكر في الرحيل بايقا وهجرها لامها
المسكينة فرآه عملا لا يتفق والانسانية وخشونة لا يرتضيها
أحد حتى الحب نفسه ثم فكر في الرحيل وحده دون ايافرآه
حلا قاسيا على نفسه وتقسيم عاذفرآه اهون الامور واقربها
الى العقل وان كان كلها صعبا وكلها مربكا

ثم قال في نفسه : أجل ان على ان ارحل وحدي رحمة
بهذه الاسرة المسكينة ، رحمة بهذه الام التي يماندها الدهر
وبهذا الاخ الذي أفسدت عليه حياته ، واذا كنت انا اخشي
فراق أبي واخشي انكسار قلبه حسرة وألما فلم لا اخشي انكسار
قلب هذه الام الرءوم وهذا الاخ المسكين ، الا ان الحب قد
اضل ايفا فلم تهتد اني الرأي القويم والحب يعمي عن كثير فهل
يضلني الحب أيضا ام اكون شجاعا في الحب واوصل الضربة

الى نفسى بدل ان اوصلها الي - واي . ان الضربة التى تصيب بها
سواء تصاب لها نفسك فهي ضربة . مزدوجة . اما التى تصيب نفسك
فتمدلا تتمداك . اجل ان فراقها حيرة حادة ولكنه هو الحل ...
ثم ارمي على مقدمه تصور فراق ايفا تصورا قاسيا ويناجي
نفسه بهذا :

أ كل هذا كان مزاحا وهزلا ، ولماذا انتظر
القدر فلم يرسل بصاعقه الا وقد عقدنا الحب وأوثقنا
عقده ولماذا لم يهف به من يوم هنأ بقليدنا نسيمه . ألا ان هذه
اقسوة . ولكن يجب أن أقف . وقف رجل أمام كل محنة فلا تكن
رحيما . شقيقا بغيرى قبل أن أكون رحيما بنفسي ولا أرحم
الانسانية قبل أن أرحم الحب . وانتصر الانسانية ولينهزم
الحب . فهذا هو أول واجبي لدى الانسانية اما واجبي لدى ايفا
فان اقنعها بالكون الي والدتها وان فى رحيلها اساءة كبيرة الى
والدتها لانها ستجرها هجرا طويلا وهي فى حاجة اليها بجانبها
كل ساعة ولانها لا تدري اذا كان فى استطاعتها ان تعود امها كل
عام او يحول حائل دون ذلك او يصدأ قلبها بالبعد والمجر .

وواجبي نحو نفسي الأسمى الى أحد غير نفسي فلقد أسأت الي كثيرين في محنتي الاولى وهانذا امام محنة ثانية فلاقل من ضحاياها ما استطعت . ثم عاد فقال . ولكن هل تقنع ايضا بهذا ان هذا المستحيل . ان قلبها متقلب على عقلها وحبها متقلب على عاطفة الأمومة والاخوة والانسانية فهي لا تحتمل ضربة كهذه ولا تباع حبها عن رضى بشئ ما فما يكون الحل إذا؟

ثم وقف بفكره لحظة أمام كل حل مستطاع ثم صاح في نفسه: لقد وجدته القد وجدته! إن الحل أن أكون قاسيا على نفسي كل القسوة وأن أحملها أكبر تضحية وأن أعد لها بالرحيل معي فاذا تهيأت لذلك ووافقت تركت لها كتاب اعتذار فتسيء بي ظنا وتخسبني كنت ألهمها وتحملني تبعه الأم وبتبعة الخلف ثم تجتهد في أن تتخلص من حب لم أحترمه ومن إنسان عرفها فيها بحبها ثم لا تلبث أن تسلو شيئا فشيئا . فهي فتاة قروية ولا تزال لديها ألفة القرويين وعزة انفسهم . أجل ولكن نحن هذا كله أن تسيء ايضا في الضن وأن يأتي يوم لا تفكر في . فهل أرخص ذلك لنفسى؟ بلى إلى أن أرتضيه . ويجب أن أدفع هذا الثمن كله

ولكن سأفارق إيفا ولعله فراق مدى الحياة .ياالله .لاني
قاس كل القسوة ولكن كل .أسوى ذلك مستحيل وكفي !

- ٨٨ -

كان اليوم الثاني .وطامت شمسهُ واتكأت في جانب السماء
ونظرت مايفعل الحب بإيفا وكمال في .وقفهما العجيب ، فهو
موقف قتال بين القلب والعقل والانسانية والحب ، فماذا كان
في هذا اليوم

قدمت إيفا مبكرة في حالة المتهم الذي سيحكم القضاء
بتسريحه أو بحكم قاس يتلف قلبه ، وانتظرت بالحملة ساهمة
ساكنة ، وبد قليل وافي كمال وقد قدر أن هذه هي المواجهة الأخيرة
لايفا . المواجهة التي سينقضي الأمر فيها بينه وبين إيفا . المواجهة التي
سيقف فيها في مهبط العاصفة ثابتا لا يتزعزع وجلدا لا يخف .
أجل ان شأنه مع إيفاسيم هذا اليوم وسيكون موقفه عجيبا .
فسيو مله من حيث يعلم ان الأمل سيقتل في القيد وسيحدث
عن الحب وهو يعلم أن الحب سينجر أمام ما سيفعل ، اذا فهذا
موقف محرج ولكن كمالا كان شجاعا وله أن ينهض بعثه

اجتمعت ايفا وكمال ساهمين في الحميلة ثم كسرت ايفا
صهتها وقالت . مالدريك يا كمال . قال ماتريدن يا ايفا قالت
بم حكمت في قضيتنا ؟ قال بما تشائين قالت اذا قلنرحل معا
قال لك ما تطلعين اليه قالت فمتى يكون الرحيل قال غدا
قالت اذا آهيه امرى وأجمع شجاعتي قال نعم قالت اذا
فلنفترق الآن على موعد في الغد ولا نطيل موقفنا فانه لقاس
وأخاف أن يغلبنا الضعف فترجع فيما أبرمنا ونحن نريد أن
ينتصر الحب علي كل شيء قال نعم ثم امترقا وانصرفت ايفا
أجل لقد انصرفت ايفا ووقف كمال يتأملها ويأخذ
منها بنظرة طويلة لان هذه آخر نظرة يمنحه الحب اياها . ثم
اخذ يتأمل اختتام الرواية بهذا الاختتام الاليم فظن نفسه
في حلم ثم افاق الي ان هذا حق لا ريب فيه فارتجى في خيلته
خائرا وهو يقول . لقد انتهى كل شيء وحكم القضاء حكمه .
اذا بيدي سأقتل الحب المقدس . هذه قسوة اليمة لا يأتياها
سواى ولكن هذا خير من أن تقتل هذه الام وهذا الأخ
حسرة وكمدا . اذا فليكن ما يريد الله . ان كمالا يجب أن

يكون كمالاً في كل ساعة ويجب ألا يخيب ظنه في نفسه
ثم نهض ليتها للرحيل ١

— ٨٩ — .

لم تهدأ ايها تلك الليلة ولم يزر النوم مقلتيها وأخذت
تنتظر الصباح بصبر نافد وهم كامن حتى كان هذا الصباح المنكود
فوقفت في منزلها موقف وداع أليم وأخذت نظرة طويلة
من كل مافيه وكل من فيه وأخذت تناجي نفسها وتقول :
أأراك أم لا أراك ثانية يا جبال لبنان الجميل ؟ وانت أيها المنزل
الذي ضم الأسي دهرًا أأراك مرة أخرى أم يطويني البحر
أم ينقطع بي الطريق أم اذهب فأسلوك وأنساك ، وانت ابنتها
الأم المسكينة بماذا ستهمين ايها ؟ ان قلت انها عاقلة فلتذكرى
انها وفيه للحب وإن قلت انها لا تحبك ولا تحفظ جميلك فاعلمي
انها ليست عاقلة لك وانما الحب قد غلبها على امرها وعلى كل
شيء وان وقفت تذكرينها في موقف فلا ترسل لي ليها لقمة
ولكن اطلبي لها التوفيق والسعادة ، وانت ايها الأخ المسكين
اماتراني بمد هذا فتره شيئاً من هم الحياة الذي تحمل . وهل

سيفصل القضاء بيني وبينه واسالك فصلاً حاسماً وهل ستحكم
على حكماً قاسياً كما تحكم والدتك أم ستكون أرفق منها بتقدير
الأمر، أشد ما يماكسني الدهر ويعاكسكم أيتها الأم وأيتها
الاخ، ولكن لعل له في ذلك سرّاً.

الوداع الوداع فأني لا أطيق أكثر من ذلك وأخشى أن
ينفجر قلبي

الى كمال . ليحمل عني بعض ما أنا فيه . انه أصبح كل شيء
لى فى الحياة

ثم أرسلت دومة حارة توقيماً لهذه الرسالة المؤلمة . ثم
ذهبت فى سبيلها للقاء كمال

-- ٩٠ --

كان هذا اليوم . وعد سفر كمال فنهض فى الصباح قبل
أن تخط الشمس لاشتيتها طريقاً فى الوجود وذهب الى خيمته
ليتم خطته . فترك كتاباً لا يفا . ووقف امام الخيمة يتأملها
تأملًا طويلاً ويشكرها على ما أسدت اليه من يد وودعها
اجل الوداع . ثم سقطت من عينه بالرغم عنه دومة على هذا

الحب الذابل . ثم حمل نفسه علي . ما بقي في رجليه من قوة وسار
وكأنه لا يستطيع ان يبدي اكثر من ذلك وسأل كل ما حوله
أن يحدث ايما بما عجز عنه

فلما جلست الشمس علي اريكتها جاءت ايضا الي خيمتها
سائرة سيراً متثاقلاً كأنها لا يزال هناك دافع يدفعها الي الارتداد
والرجوع . فلما وصاتها اينقذها كمال . من همها وجدت هناك
الهم والامسى . فلم نجد كمالا وانما وجدت . مكانه خائباً فافتضته
فراأت فيه هذا الحديث الاليم :

« ايضا العزيزة :

الوداع يا ايها . كوني لامك وأخيك « كمال »

قراأت ايها هذا الخطاب ثم أعادت قراءته ثم وقفت جامدة
ساهمة ثم انفجرت باكية . ثم عادت نائرة وأخذت تهذي وتقول .
أحلم هذا أم حقيقة . أهزل هذا أم جد . ماذا ألم بك
يا كمال وأى فكرة قاسية احتلت رأسك . ما عهدتك قاسيا
يا كمال فهل تقسو هذه القسوة علي وعلى نفسك . اكثر ما خدعت
يا كمال . ثم صمتت قليلا وعادت فقالت :

انتهى عهدنا بك أيتها الحميلة . أكل ماء عود به من حبي هذا
الكتاب . وهذه الورقة الضئيلة التي استطاعت ان تقوم حاجزاً
منيعاً بيني وبين كمال

ثم كأني رأيتها قد اثار فصاحت قائلة : اي كمال . ما افساك
وما اصد قلبك إن يداً تقتل الحب ليست يد حبيب اذاً كان
كل ذلك مهزلة وكان كله لهواً بي . ثم عادت فقالت .
ان كمالاً كريم النفس ولا بد ان فكره قد خدعه . اجل
لقد انتصر فكره على قلبه . انه محب ما في ذلك زيب . بل محب
بكل قلبه . ولكنه خدع

وكانما نال منها كل ذلك من الاقاسيا غارمت في الحميلة تقبل
موضع كمال كاللهولة او النائرة التي لا تعرف لها مذهباً
ولا محن فعلاً

وظلت كذلك في ثورتها ساعة من الزمن حتى نال الا سي
من نفسها وبلغ حده فمادت ادراجها وهي تحدث كل شي وفي
طريقها وتصيح به « لقد رحل كمال . لقد رحل كمال ايتها الحميلة
فلم يعد لي بك شأن لقد رحل كمال ايتها الجبال وايتها الاشجار

وظلت كذلك حتى وصلت منزلها فصاحت بالوالدين
لقد رحل كمال وارتعت خائفة من مضضعة . ووالدتها تدج
لهم كمن في نفس ابنتها ثم اتعجر هذا الانفجار الاليم

— ٩١ —

ظلت ايضا في ثورانها وهدوئها وثورانها وهدوئها عدة
ايام قاست فيها ما قاست . تذكر كمالا فتثور ثم تذكر أنه عدا على
حبيبها فتهدأ .. ووالدتها قائمة عليها تصيح من شأنها وتنهيه من
همها وتقل من حزنها وتحدثها كل يوم هذا الحديث .

يا بنيتي ما اهتمامك بمن جفاك وقلاك وما اهتمامك بمن لم
يهم بشأنك . وما عايتك بمن خدعتك في الحب وتلهي بجلوسه
اليك واطمئنائه إلى جانبك في زمن تلهيه بقرينا حتى حانت
عودته فخال ان شيئا بينك وبينه لم يكن . يا بنيتي رفقائي ورفقا
بنفسك وكوني لي وكوني لنفسك فانك على الآن وعلى
نفسك ، يا بنيتي كفي ما بلوبنا من هم فادفي هذا الهم الجديد
بقدميك فانه لا موضع له من قلوبنا وهي ملاي وكؤوسها
داهقة ، يا بنيتي اننا قوم على رؤسنا وضعف حيلتنا ذوو كرامة

ومن لم يحفل بنا لم يحفل به ، يا بنيتي اين نفسك الكريمة
الرقية وكيف تبديع منها الحب يا بنيتي هؤلاء قوم ذوو نعمة وترفيه
يقضون اصطيافهم في اللهو والراحة اما نحن فقوم ذوو بؤس وفاقة
فاين نحن منهم وما الذي يضمناواياهم»

وكان الوالدة لحظت ان لمثل هذا الكلام تاثيره في نفس
ايفا فما زالت تردده وتعيده . لا تمل ولا تيأس . حتى بدأت ايفا
تهادأ وفي ذات يوم خلعت عنها همها وصاحت بوالدها « اجل لقد
خدعني كمال وتظاهر بالحب . ولكني أحبيت حبا جميلا صادقا
فلا نحر هذا الحب فانه لم يصب موضعه ولا معنى لان أقض
قلبي وأكلم قلبك بينما هو الآن هادىء . طمئن ألا لقد كان
قاسيا على وما قسوت عليه فلا دفع هذا الحب بعيدا ولا أسل
كما لا ولا كن لك ولاخي » فما نقتها امها وسمدتا معا بما وصلتا اليه
واخذت ايفا في تهوين الامر على نفسها كلما عاودتها
الذكرى وكانما عاودها خلقها الاول فتمت لها السلوى

رحل كمال وهو يفكر فيما يكون من شأن ايفا . وهل ما قدره .

سيكون حقا. أم ستبضع نفسها حسرة. وهل نصيحته ستصيب موضعها أم ستكون هباء لا تقع فيه. وهل ستعاود أيتها أخلاقها القروية وتدفع عنها هذا الهم وتخلع عنها هذا الحب الذي لم يحترم أم سيغلبها قلبها.

أخذ يفكر هذا التفكير حتى اهتدى للتنبؤ بكل ما كان من شأن أيتها وكان تنبؤا حقا. فاطمان قليلا وأخذ نفسه على مغالبة هذا الحب الذي يهفو بنفسه وأخذ يروح عنها بانه ما قام الا بالواجب والقيام بالواجب لا ينجل ولا يحزن. وبأنه لم يكن قاسيا على أيتها لحظة من حياة حبه وبانه أحبها من كل قلبه فلما رأى أن حائلا يحول بين حبهما واتصالهما وبأن الإنسانية تقدس هذا الحائل احترامه وقده. وهجر أيتها الحب ما تكون إليه. ثم رأى أن يذكرها ذكر أجيالا فحسب لانه قد أسدت إليه دأ كبيرة ولأنها أرتته من لذة الحياة ما لم ير. أجل لقد أرتته لذة الحب النقي. وهل شيء أكبر لذة منه؟ اذا فكل ما يجب أن يبقى لكامل هو الذكرى الجميلة. وان بقي لسواه في مثل هذا الموقف ذكرى اليمّة تلف عليه نفسه ونعمة كبيرة على كل ما حال بينها

أما كمال فلا ينقم ولا يرى إلا أن كل شيء أخذ موضعه وأنه قام
بأداء واجبه وإن العقل قد تمارض مع القلب فانتصر العقل
ويجب أن ينتصر. وإن هو أله لم يخدعه عن عقله.

وإذا فليقدر كمال عقله وقوته أكثر من قبل. وليوجب
بنفسه وبمؤلفه. وليفكر إذا فيما ينفع الناس والعالم بعقله ورأيه
وليرأى هذا الحب أزجي إليه اصقل قلبه وذنه ولتعريفه
قدرة عقله! وإذا فليعد رجل نشاط وقوة وليدفن هذا الحب
في أعماق نفسه وليكن أقوى من أن يضعف أمامه فيتلف نفسه
هذا ما كان من شأن كمال ومن رأيه وهذا ما هداه إليه
تفكيره القويم وما اجدت عليه رحلته الجميلة

إن الطبيعة لا تعقد الأمور ولا تربكها وإنما نحن نعقد
وهي تحلها حلاماً معقولا. إن كمالاً قد اغرب في تفكيره من قبل
وذهب مذهباً بعيداً وكان على شفا خطر قاصم فلم ترض
الطبيعة أن يضحي فتى كهذا بنفسه في سبيل فكرة عقيمة
قاسية كهذه. أجل لم تشأ أن يذهب ضياء اجتهاد تفكيره في

شأن الحياة وقيمتها . وشأن حياته هو وقيمتها وشأن بقائه في الوجود والرحيل عنه . فهيأت له هذه الرحلة البديعة وهيأت له شاغل الحب الكبير وهيأت له سعادة الحب ولذته فاعتدل فكره واقتنع ان في الحياة لذة . وأن فيها سعادة . ثم عادت المقادير فافهمته ان السعادة ليست هينة الي حد كبير بل ان حولها كثيراً من الاشواك . وان طريقها وعريضها معبد . وانك قد تملأ كفك منها ثم تعود فترى كفك صفراً . واذا فواجبك ان تتشبث بكل ما ينالك من هذه السعادة فان آذنت بالرحيل فلا تقتل نفسك حسرة واعلم ان هذه هي سنة الطبيعة

هذا ما عرفه كمال واعتقده وعرف بجانبه ان ثمن السعادة الجهاد بل لذة الحياة الجهاد . فيجب ان يكون الانسان قوة عاملة في الوجود والاي شغل نفسه بالتافه ولا بالمقيم . لان هذا لا غاية له إلا العبث بالواجب من حيث لا يصل المرء الي كثير او قليل . ومن هنا جزم كمال بالايمود لتفكيكه القيم وان يسير الحياة فان القوة في مسيرتها لا في معارضتها فكانت نتيجة جميلة حقاً وان المحنة وإن تكن قد حلت

حلا قاسياً عليه وعلي سواه فان هذا هو اهون الطرق لان
الطبيعه لا تأخذ في حل مشكلاتنا الا اهون طريق

•
* *

إذا فقد تكون كمال تكويننا جيلا وعادانا سانا آخر. وانتهت
روايته انتهاء معقولا وكفي

خطأ وصواب

صفحة سطر	خطأ	صواب	صفحة سطر	خطأ	صواب
٦	٤	حاول أحاول	٦٠	١١	وشباننا وشبابنا
٩	٢	مطرنا مضطربا	٦٣	٢	المجهررد المجهود
١٠	٩	منكورة منكودة	٦٣	١٦	بالقول الى مايقول
١٢	١	الرأس الراى	٦٥	٤	آخذ آخذاً
٢١	٦	لر كل	٨٥	٧	كالمتهضن كالمتهضن
٢١	٧	كل لر			
٢٢	٤	كل وان كل في واد	٨٨	١٧	جديد جديداً
٢٦	١٣	فأقص فأقص	٩١	١٠	سداً سراً
٣١	١٤	حائجة جائحة	١٠١	٥	ولجماله ولجمال
٣٣	١١	محقر محقرله	١٠١	٦	تأثيراً تأثير
٣٥	٤	تنقاد لاتنقاد	١٠٨	٤	منذر منذ
٣٧	١٣	إلى هذا إلى هذا	١١١	١١	واهتملت
٣٦	٣	أذوقهم أذواقهم			واهتملت
٥٦	٧	بذوه بذويه	١١٢	٦	ايضا ايضاً

